

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفصل العاشر في السيرة

التي فازت بجائزة ستالين في الأدب السوفيتي

# الحب والخبز

تأليف

صفحة مختارة من خيرة أدباء الروس الثوريين

مكسيم جوركي . بوشكين . تشخوف

تولستوي . زوشكو . بروف

الطبعة الأولى

## الاهراء

الى اولئك الذين آمنوا بأن الحب صفة السماء للبشر  
فحجروا وعصروا الحب من الفجود والسرائع .  
والي الذين آمنوا ان الحب صفة الارض للبشر فنالوا  
الحب بالسلام لا في المطامع .

اهري كتاب الحب والحج

عن رحلة لبنان في ١/٦/٩٥٤

نيسيل كرامه

المؤلفات التي صدرت عن دار الاهرام للطباعة والنشر والتوزيع

الأديب اللبناني المعروف الأستاذ

تأليف

تحويل كرامته

بائعة النمر اسم : استع قصة عاطفية ظهرت هذا العام أعيد طبعها ثلاث مرات وترجمت الى الفرنسية . قصة محام شاب وامرأة طريفة يحكما القضاة ويبررها القدر .

١١٢ صفحة من الحجم الكبير والطباعة الانيقة سعر ١٠٠ غ.س

درب الزهري : قصة امرأة عاشت للحب وانضعت الدنيا ، قصة واقعية جرت حوادثها على سفح جبل صين ولم يزل معظم أبطالها على قيد الحياة

تقع في ١٦٠ صفحة من الحجم الكبير والطباعة الانيقة سعر ١٥٠ غ

الفراع الفرسيج : مسرحية ساخرة باللغة العامية . فجي دعوه صادقة الارض المحببة ، وصراع عنيف ضد الادعاء الفارغ والمدنية الفاسدة .

تقع في ٨٠ صفحة من الحجم الكبير والطباعة الانيقة سعر ٧٥ غ

غرام نقيطة : قصة ام حائرة تبحث عن ثمرة احشائها بعد ان تخلت عنها في لحظات مجونها وانعراها .

تقع في ١٢٠ صفحة من الحجم الكبير والطباعة الانيقة سعر ١٠٠ غ

الرفيف الازهر : قصة الرفيف المجهول بدمع العين ودم القلب ، قصة من طراز غير عادي كتبت احرفها من نار وعبرت بأسلوب من نور .

تقع في ٢٢٤ صفحة من الحجم الكبير مزدانة بالرسوم سعر ٢٠٠ غ

غرام من نار : قصة غرام عنيف ارفع من حدود السماء ، قصة الحب العاصف ونكران الذات .

تقع في ١١٢ صفحة من الحجم الكبير والطباعة الانيقة سعر ١٠٠ غ

ابصار محترق : قصة ليست ككل قصة ، لا يقدر وحدها الاكل من يقرأها :

تقع في ١١٢ صفحة من الحجم الكبير والطباعة الانيقة سعر ١٠٠ غ

الكتب المعربة بقلم الأديب اللبناني المعروف الأستاذ نبيل كرامة .  
 عن أنورما اللواتح : قصة مترجمة عن المؤلف الفرنسي الكبير ألفريد موشار  
 وهي التحفة الخالدة التي فازت بست جوائز عالمية ، قصة الصراع بين  
 التربية الحديثة والتربية القديمة ومعالجة اختلاط الجنسين منذ الصغر .  
 تقع في ٣٠٠ صفحة من الحجم الكبير والطباعة الانيقة مزدانة  
 ب ٢٤ رسماً من اجمل مشاهد الفيلم بسعر ٢٥٠ غ  
 فخر انتاج الدار لهذا العام مترجمة عن الادب الروسي لامم  
 كتاب السوفيت الواقعيين مكسيم جوركي ، وهي قصة الاعيان  
 بالنصر انهائي الذي ستحزره القيم الانسانية . كتبها جوركي في  
 حى النضال الثوري في وقت بدأ اليأس يلبس الى قلوب  
 الكثيرين ، وبمئت الايمان في النفوس ، وانارت افق المستقبل  
 وجندت منتفالك القوي الكامنة ، وكان لها ما اراد كتابها فقدت  
 طبعها الاولى والطبعة الثانية قيد الطبع .

الاجم :

تقع في ٣٠٠ صفحة من الحجم الكبير والطباعة الانيقة  
 مزدانة ب ٢٤ رسماً من خيرة مشاهد الرواية بسعر ٢٥٠ غ .  
 قصة امرأت ذات مطامع وقمت حوائثها بان الحرب الاهلية  
 الاميركية من تأليف الكاتبة الكبيرة مرغريت ميثشل ، اخرجت  
 هذه القصة الى السيتما فكانت ولم تنزل فخر انتاج هولويود ونالت  
 جائزة الاوسكار الدولي .

لشعب مع السريح

تقع في ٢٢٤ صفحة من الحجم الكبير والطباعة الانيقة مزدانة  
 ب ٢٤ رسماً من اجمل مشاهد الفيلم بسعر ٣٠٠ غرش .  
 مجموعة اقصيص تأليف صفة مختارة من ادباء الروس  
 الثموريين فز كتابها بجائزة ستالين في الادب السوفيتي .

الحب والفتن :

تقع في ١٢٠ صفحة من الحجم الكبير والطباعة الانيقة بسعر ١٠٠ غ  
 تأليف انكاتب الثوري الكبير مكسيم جوركي ، فهي قصة  
 الانسانية المذبذبة ، قصة العمان والجياوع والخراب الشردين في الارض  
 تقع في ١٢٤ صفحة من الحجم الكبير والطباعة الانيقة بسعر ١٠٠ غ .

المشردون :

## عرب اقوى من الموت

عن مكسيم موركي

في زمن مضى كان يحكم بلاد القرم ، امير يدعى « مسيامة »  
رزقه الله ولداً أسماه « طليق » .

بهذه العبارة ، استهل شحاذ تترى ضرب حدثه ، وهو يستند  
الى جذع شجرة باسقة ، اعتاد ان يستظل بأفنانها كلما انتف حوله  
عشاق اخباره ، يصيخون السمع لرواية اساطيره ، وكان معظم هذه  
الاساطير يدور حول تاريخ القرم الحافل بكنوز من الاخبار .

كان المستمعون الى اساطيره في هذه المرة ، جماعة من قطاع  
الطرق ، وقد جلسوا امامه على بعض الحجارة ، ووضعوا على الاحجار  
قلانسهم المتركشة المرصعة بالذهب والجواهر الثمينة ، التي كانوا استولوا  
عليها من بعض قصور الأثرياء .

وكانت الشمس تسعى الى الغروب ، وتلم خيوطها الذهبية عن  
الطبيعة لتوارى وراء اليم اللجوج ، وقد نشرت بعض أشعتها الجراء  
على اشجار الغابة المكتسية بحلة خضراء ، وسرت الرياح تعصف بين  
افنان الشجر ، ويرتفع بالكون الهادىء صوت حفيف اوراقها ، وخرير  
مياه الجداول الرقراقة المنسابة ، وهي تلاطم الصخور .

ومن بين تلك الاصوات ، كان صوت المتسول الراوي يتصاعد .

هادئاً متموجاً ، أما قسبات حياه التي رسم الزمن عليها خطوطه ، فكانت تبدو قاسية ، ولكنها لا تخلو من الشعور بالثقة والاطمئنان ، وكانت عباراته تنساب بلباقة وطلاوة وتدخل آذان المستمعين دون استئذان ، فتوقظ في أرواحهم الأحاسيس وفي أجسادهم المشاعر ، كما تصور لهم من روائع الصور الحية عن الماضي البعيد .

وابتدأ الضير حديثه : كان الامير مسيماً قد تقدمت به السنوات وهدمت مراحل الازمان البعض من قواه الجسدية ، ولكن قلبه كان لا يزال ينبض بعزم الشباب ، وظل قصره حافلاً بعدد كبير من الجوّاري الحسان ، على غرار ملوك العرب القدماء .

كانت الجوّاري تحببته ، لما كان يملك من قوة ، وعزم وحيوية ونشاط ، ومعظم النساء لا يحببن إلا من يبعث الدفء الى القلوب في كلماته ، والوقيد اللافح الى الأجساد في مداعباته ، وان وخط الشيب شعره ، وخطط الزمن في قسبات الوجه اسطوره . إذ ان ميول النساء في قومي الرجل وحيويته ، لا في جمال البشرة ونعمومة الجسد ، وتورد الوجدتين .

كان معظم الجوّاري يملن بعواطفهن نحو الامير غير انه كان يؤثر عليهن جميعاً جارية « قوزاقية » وقعت اسيرة غزواته في سهول « الدينبر » ووقعت اسيرة غرامه من الليلة الاولى التي ذاقت فيها ساعات الوصال الدافئة الى قربه ، فبادته الحب وتفانت في غرامه حتى التلاشي والاعراق ، فمال قلب الامير الى غائتته وتسامى جواريه ، وعددهن يربو على الثلاثماية جارية ، وخصها الامير بقلبه وحبه ، ولباليه الرائعة ، الزاخرة بالاغراء والمجون .

وكان اكثر جوّاري القصر كزهور الربيع النضرة الايساع تهمل وجوههن المتأققة بالفضياء ، وحيث يتسمن تحمل الهجة والخبور

وبقي الأمير ، رغم تعلقه بجاريته القوزاقية المفضلة ، يجالس جواريه  
بشاربهن ويراقصهن ، ولكنه كان يخصص بالدعوة الى مخدعه  
القوزاقية الحسنة

فأقامها في قصر يشرف على البحر ، وأعد لها فيه كل مباحج  
الحياة من شهى المنظور جوهرأ وذهبأ ، ولذيذ المسموع غناءً ساحراً  
وحنان أوتار ، وقد أحضر لها من اقاصي المعمور كل طيور غريدة ،  
وجمع لها من اينع الخمايل والمروج أفضل الأزاهير العابقة بالعطار  
والريحان ، وفوق كل ذلك منحها قلبه الدافئ ، ووقيد جسده اللافح  
بالغرام والحنان .

كان الامير ينفرد بجاريته الحسنة أياماً وليالي فيغفو على صدرها  
الدافق بالحنان ، ويصحو على فجر صباها الريان ، لا شاغل يلبو البال  
ولا عزول يعكر ساعات الوصال السعيدة . فالأمير مطمئن على مملكته  
المترامية الاطراف ، يثق ويعتمد على ولده طليق ، من انه لن يخفض  
الرأس ابدأ ، وسيضيف الى ملكه ممالك عديدة مثما أبقى له الاباء  
والأجداد من تراث عظيم .

ان ولده صلب العود ، قوي الساعد ، عزيز البيان ، فهو ولا  
ربب سيتمكن من غزو الحدود الروسية ، فيأتي بالسبايا والاسلاب من  
العرب والاثراب ، واذا ما عاد مظفراً بالسبايا والغنائم ، فان سائر  
الرعية سيأتمرون بأمره على غرار أجداده . ان معظم الرعايا ذوو عزم  
واقدام ، ولا يدعون الا للفارس القوي المراس ، وان ولده طليق  
يتحلى بجميع هذه الصفات والمزايا الحميدة .

وكما كان يعود طليق من غزواته ، كان الامير مسيلاً يقيم له  
الافراح ، والحفلات الخاصة لاكمرامه ، في صالة قصره الرحب ،  
يدعو اليها صفوة الرعايا وابطال رجالها ، فتدور كأس الراح على كل

شفقة ، وتقام المباراة في اصابة عيون الاسرى بالسهم ايبرهنوا عن  
عزم سواعدهم في اصابة المرمى . وكان سهم ولي العهد أشد الأسهم  
اصابة ، لأنه كان يملك المضل القوي والساعد المتين .  
وكان قلب الامير مسيلمة يرتقص طرباً بمجد ولده البطول ،  
فيخيل له المستقبل الزاخر بالمجد والعظمة الذي ينتظر وحيداً بعد ان  
يدوي عود الأب ويحجف عنقوده .

وفي احدى حفلات التكريم والاجلال ، وخلال احتدام المهرجان  
والاصابات المحكمة ، وقف الامير مسيلمة شامخ الرأس ، مرفوع الجبين  
وقد اجتاحت قلبه موجة قوية من التباهي والخيلاء بوحيدته الذي أنعم  
الله به عليه ، ايكون قررة عيني الأب ، وصفوة رجال المملكة ، وورث  
العرش المنتظر الذي سيصونه بمجد سيفه بعد ان يذوق الأب حتفه  
ويعسي جسده طعاماً للدود . ونادى الامير مسيلمة ولده وقال له : اطلب  
يا طليق ، كل ما يبدو امام ناظريك فهو ملك لك .

وصمت الامير ، ولكنه رأى ما التمع بعيني ولده من اشماعة  
غريب ، كأشعة عيني النسر المخلق فوق قمم الجبال ، وقال بحياء :  
- يا مليكي وأبي . إذا شئت اكرامي والانعام عليّ ، هبني ما  
بطنيء لهيب قلبي المشتعل حباً وغراماً .

- اطلب ما تشتهي يا ولدي فهو ملك لك .

- إذن . هبني جاريتك الاسيرة القوزاقية الحسنة .

وخيم الصمت المطبق على الامير مسيلمة ، وشعر ان الارض تميد  
تحت قدميه ، وقد استمرت في قلب جذوة النار فاضطرم لهبها وكادت  
تنتهم صدر الامير الكبير وتترزع منه كل أناة وصبر ، ولكنه تمالك نفسه  
وهدهأ بعض ما انتابه من اضطراب عنيف ، ولم قواه التي تلاشت على  
أمر الطالب ، ثم همس بانفاس متقطعة :

- انها لك ، ولكن ، فليكن ذلك عقب انتهاء المهرجان .

وغمرت قلب طليق موجة من الهجة والحبور ، واستخفه الطرب  
والتمع في عينيه اشعاع متألق الوميض اشد ما كان عليه سابقاً ،  
واستقامت قامته كصناديد الرجال ، وافتر ثغره عن ابتسامة عريضة ،  
تدل على ما اعتمل في قلبه من مشاعر الغبطة والسرور ، وقال :

- اني اقدر عظمة هبتك لي يا مليكي ويا والدي ، ولئن كنت  
ولدك ، ولكني فخور بان اكون عبدك ايضاً لأسفك في سبيل الذود  
عنك آخر قطرة من دمي ، وان كان المسيح فادي البشر قد مات  
مرة من اجل البشر ، فأني اود ان اموت من اجلك عشرين مرة .

وانخفض رأس الامير مسيلم المكل بالشيب ، والذي لم ينخفض  
في دنياه ابدأ ، لما ورثه من رفعة المجد ، ومن مآثر بطولات اجداده  
ثم همس بصوت خافت هادئ : لا أود شيئاً .. لا أود شيئاً ..

وعقب انتهاء المهرجان مباشرة ، عاد الاب والابن معاً الى قصرها  
وكانا يسيران جنباً الى جنب وقد عقد الصمت لسانها ، وكانت حجب  
السحب الملبدة على صفحة السماء تغرب اشعاع البدر وتستر نجومها ،  
وبقي الصمت سائداً فيما بينهما ، الى ان قطع الاب حبل هذا السكون  
العميق فقال : أرى ، اني كلما تخطيت مراحل الزمن ، اشعر ان الموت يدنو  
مني باندفاع عجيب ، وان قلبي الذي كانت جذوة نيرانه تتوقد فيه ،  
امسى بعد اليوم لا يتحقق الا بهوادة ، وناره اخذت في الخمود ،  
وقد كان للحظات مضت يستمد القوى والحياة من حب تلك الجارية  
انقوزاقية . ألا قل لي يا طليق ، الا تستعيز عن تلك الجارية التي  
اصبو اليها واحبها بمائة جارية سواها ؟ ..

فلم يجر الابن جواباً ، واسترسل الاب في حديثه يقول :

- تصعب عليّ الحياة يا ولدي ، وأنا أتخيل ان المرأة التي وهبتها

قلبي وحيي تشاركك مضجعمك ، وتضعها بين ذراعيك ، وتبادلان معاً  
قبلات الهوى والغرام بتذوق وحنان . انت وانا يا ابني لسنا في نظر  
المرأة مجرد اب وولده ، وانما نحن بنظرها رجلان ، ولقد كنت اتمنى  
ان ارى الكثير من جراح جسدي تتدفق منها آخر قطرات دمي  
وحياتي ، على ان اسمع الليلة منك هذا الطلب وتلك الامنية .

وظل طليق على صمته ، الى ان وضلا باب مخدع الجارية الحسناء  
وكلاهما مطبق الغم ، مقطب الجبين تتنازعها الافكار الصامتة ،  
ورأسها بانحناء طويل كالعبد الذليل . ووقفا على عتبة الباب ، وكان  
الظلام يلفها ، والرياح تئن انين المصروع العليل ، ثم قال طليق  
بصوت خفيف النبرات ، رزين العبارات : ان حبها قد ملك فؤادي  
منذ زمن سحيق يا والذي .

- كنت اعلم ذلك ، ولكنها لم تبادلك هذا الحب .

- وهذا ما كان يزيد في قلبي جراحه ، وطالما حرّم طيفها  
اجفائي لذيد الرقاد ، من جراء ما انسقت خواطري حول غرامها  
وانا اعلى القلب بمنالها ، الى ان ملني الصبر وما حظيت بهواها .  
وصمت طليق ، وصعدت من صدره آهة عميقة ، ثم تابع حديثه وقال :  
لقد صدق الذين قالوا : « ان المرأة شر لا غنى للرجل عنه » . فاذا  
كانت مليحة حسناء ، واغرى جمالها غيرك ، فحتماً ستحيل حياتك الى  
حجيم ، وتقلبك على نار الغيرة والظنون ، وان كانت ضعيفة الوجه  
قبيحة ، دفعتك دمامتها الى حسد الآخرين على نسايتهم ، وان كانت  
بين بين ، ليست هي بالجميلة ولا الديمة كانت حياتك معها تنفيساً من  
شكها في حبك وشكك في استئثارها بقلبك .

وقال الامير : ليست الحكمة والبلاغة دواء لعلاج القلوب .

وقال طليق : كلانا يا والذي يرثي لحالة الآخر ويشفق عليه .

ورفع الأب رأسه بحزن اليم .  
ونطق الابن بحزم وتصميم : فلنتخلص كلانا منها اذن .  
- وكيف ؟ ..

- فلنقتلها .

ومرت هذه الكلمة برأس الاب ، فارتعشت بجسده كل عضلة ،  
وارتجفت شفتاه وهو يقول : اذن فانت تحب نفسك اكثر ما تحبها  
وتحبنى ؟ ..

وهمس الابن بذل وقال : حقاً ما تقول ، وانت كذلك يا ابي .  
وتعم الاب بحزن اليم : حقاً ، وأنا كذلك يا ابي .  
وقال طليق : اذن يجب ان تذوق الجارية حتمها .  
وقال الاب : من المسير عليّ يا طليق ان اهبها لك ، من المسير  
جداً عليّ يا ولدي .

وقال الابن : ومن المسير عليّ انا أيضاً الصبر وقد ملّني ، والآن  
وقد قتلي . اواه يا ابي لا استطيع . لا استطيع فرحة بقلبي الجريح  
اوهبها لي ! ..

وصمت الاب قليلا ، وضاقت به السبل فقال بألم :

- اذن فلنقتلها ! ..

- وكيف يتم لنا ذلك ؟ ..

- يلقى بها عن الصخرة العالية الى لجة البحر .

- فليكن ذلك . سنلقي بها في لجة البحر .

ودفعا باب الغرفة ، وعبرا معاً الى الخدع ، وكانت الجسارية  
مستغرقة في سبات عميق ، ممددة الجسد البض النضير على فراش وتير  
من الحرير والديباج ، وهي مرخية الشعر الكثيف اللين على الوسائد  
الاطلسية . فكانت تمثل جنح غراب على صفحة من الثلوج .

فوقفا امام سريرها بحدقان بعيون ملتزمة الضياء تنذر بشر منتظر  
وأذى لا بدّ آت . ولكن الامير حوّل نظراته عن المشهد الدامي ،  
واطرق برأسه نحو الارض ، وغلبت الدموع عينيه فتناثرت على مقلتيه  
وشاربيه ولحيته وكانت كمثل حبات من اللؤلؤ .

ولم يستطع طليق كبح جماحه فغلبته الآهات والبلوى ، وارتفع  
صوت صرير اسنانه ، فاستفاقت الجارية على هذه الجلبة وفتحت عينها  
فالتعما كبريق الصباح ، وحين رأت الامير اکتست وجنتها بحمرة  
متوردة كأشعة الفجر حين بزوغه ، ومدت نحو اميرها شفقتين تلتظيان  
بحمي الشهوات وهمست : تعال قبلي !

وكادت عزائم الامير مسيلمة تخور ، وهم بالأقتراب ، ولكنه تمالك  
جأشه وقال : هلمي !.. لا بدّ لك من الذهاب معنا .

واستدارت الجارية بنظراتها عبر الغرفة ، فوقعت على وجه طليق  
وتبينت ما يقطر من عيني نسرهما القوي من دموع ، وكانت الجارية  
على كثير من الذكاء ، فأدرکت بالخال حقيقة حضورها اليها معاً ،  
فقال : سأذهب برفقتكما . لا لك ولا له . أليس هذا ما تم الرأي  
بينكما عليه ؟..

وخرج الثلاثة من الغرفة في صمت وهدوء ، وانجهوا نحو البحر  
وتلاشت قوى الجارية ، وضعفت عن المسير ، ولكنها استجمعت كبرياء  
نفسها ، التي كادت تخور وتتلأشى ، وتمنعت عن مكاشفتها في أمرها ،  
والكن الاب لاحظ ببطء خطواتها ، فقال يسألها : هل تماكنت  
مشاعرك المخاوف !..

فالتمعت عيناها ، وأشارت الى قدمها الدامية ، واقترب طليق  
يود حملها بين يديه ، ولكنها تقدمت نحو الاب ، فحملها الاخير في  
بساطة ويسر ، كما لو كان يرفع بين يديه ريشة طير . وانتشر شعر

الجارية الحسناء فمدت يدها تلامه وتستر به وجهها . واستمر المسير بخطوات حثيثة ، وكان الاب يسير في المقدمة .

وقال طليق : أسمح والذي ان أتقدمه في المسير ؟ اكاد افقد شعوري ، وانا اسير وراءك ، ويكاد الشيطان يغرر بي ويدفعني لأخذ خنجري في ظهرك .

وقال الاب : لك ما ترغب يا طليق ، وقد عفوت عنك ، وغفرت لك تلك الامنية التي جالت في رأسك . لأتني اعرف ما هو الحب .

واخيراً بدا البحر سحيقاً تحتهما ، إذ ان الصخرة كانت بليغسة الارتفاع ، وظهر البحر بجلباب من سواد غير متناهي الاتساع ، وكان المد والجزر يغنيان اناشيدهما الرهيبة ، وكأنهما يرددان الحان الجنائز ، في تلك الليلة الرهيبة اللاحقة الصقيع .

وانحنى رأس الشيخ يودع جاريته ، ومعبودة فؤاده ، فأشبهها لثماً وتقبيلاً ، ثم همس قائلاً : وداعاً !..

ونظرت الجارية الحسناء نحو البحر دون ان تملكها الجزع والخوف وضمت يديها الى صدرها وقالت : اقفذ بي الى البحر !..

وعاد الامير يقبلها ، ومدّ طليق اليها يده ، كي يتولى مهمة إلقائها فكان الاب هو السبّاق الى هذه ، وألقى بها من فوق الصخرة العالية .

وكانت اصوات المد والجزر في اضطراع ، فلم يصل الى اذنيها اي صوت من الشبيدة ، وحدث الامير الاب الى سفحة اليم اللاجوجة فلم يتبين شيئاً . وادار نظره فيما حوله ، فلم يقع الا على ظلام دامس وايل كثيف الغيوم ملبد بالسحاب .

وكان طليق يقف الى قربه ، وقد حجب وجهه بين يديه ، يخلد الى السكينة ، ضعيف اللهاث ، لا انفاس تملو ولا اضطراب يعرو وكأنه قطعة قدّت من جمود تلك الصخرة القاسية .

وحين التقت عينا الاب الحائرة ، يعيني الابن الفائرة قال طليق : هيا بنا  
يا والدي لنعود ادراجنا من حيث اتينا ! . .  
واجاب الامير : مهلا واضح يا ولدي ! . .

وظن طليق انه سيستمع الى حديث والده ، ولكنه لم يسمع ما كان  
يتوقع سماعه بل تسرب الى اذنيه في هدأة السكون فحيح الرياح  
الباردة الآتية من لجة البحر العميق ، وبعد لحظات قليلة ، عاد الابن  
يدعو والده ويقول : هيا بنا يا والدي لنعود الى القصر ! .  
واجاب الاب بحزن مكتوم : انتظر لحظة اخرى ! .

وبين فترات متقطعة اعاد الابن دعوة والده يحثه الى العودة . وابت  
الامير مسيلا ان يغادر المكان الذي فقد فيه كل امل ورجاء له من  
الاستعادة ، ولكن اكل شيء نهاية وحدود . وقطب طليق جبينه وقال :  
هيا بنا لنعود ! . .

وعادا ، انما سرعان ما كفت الامير عن السير وهتف :  
- ولكن . لماذا اعود يا طليق ؟ . . والى اين اعود ؟ . . ولم  
يبق لحياتي بعدها اي معنى ، ولما اعيش وقد كنت احيانا من اجلها ؟  
تقد فقدت من اذقتني حلاوة الحب والوصال من بين شفقتها ، وبثت  
في القوة والعزم من حنانها وحيويتها ، ولذا فقد افتقدت بفقدتها كل  
امل لي بالحياة . واذا ما افتقد المرء من يحبه ، فمن الحماقة ان يعيش  
لأنه يفتقد بملك سائر حيوات هذه الدنيا .

وقال طليق : لك السلطة والمجد الوطيد ، والغنى والترف الوثير  
والجاه والحسب الرفيع ، أبعد هذا تقول انك افتقدت جميع حيوات  
الحياة ؟ . .

وقال الاب : امنحني قبلة واحدة من شفقتها ، اهبك كل ما  
تبقى من عمري المتديد ، لا احب الا حب المرأة ، فمن فقدتها وملك  
كل شيء ، فقد خسر وخسر كل شيء . . . وداعاً ! . . وداعاً ! . .

يا ولدي ، كان الله في عونك .

وعاد الامير الى تلك الصخرة ، صخرة الموت وموتل المنبوذين  
الشردين .

وصاح طليق : والدي !.. والدي !..

ولكنه لم يستطع انعام صياحه ، اذ تملك قواده الجرع الرهيب ،  
وهو الذي لم يجزع في حياته ابداً ، ولكنه شاهد والده وهو يستقبل  
الموت ويبتسم بكل شجاعة وسعادة ، وقدلقى بنفسه الى لجة البحر  
الصاحب ، حيث هناك دفن منذ لحظات الهوى والشباب ، فلحق بها  
علته مجذ لنفسه هنالك الراحة والسلام الابدي ! حيث لا عزول ولا رقيب .  
وما استطاع طليق ان يتقدم نحو صخرة الموت ولا خطوة واحدة .  
وما تسرب الى اذنيه اي صوت يقصاعد من المنتجر شهيد الغرام  
والاخلاص ، بل اختلطت في مسمعه قعقة امواج البحر المتلاطمة ،  
وصوت تحطيمها على الصخور القاسية .

وتنافرت الدموع من عيني الابن ، وتقطعت انفاسه وهو يقول :

- ربي !.. هبني قلباً قوياً كقلب والدي .

وعاد ادراجه بخطى ثقيلة ، وقد لف ظلام الليل الدامس بجناحيه  
ذلك الشبح الهزيل الحزين .

وكانت همسات اليمية تحترق سكون ذلك الظلام وهي همسات طليق  
وهو يقول : يا لهذا الغرام الجامح ! الذي كان يستمر في حنايا هذا الشيخ ،  
لقد كان حبه حقاً ، حباً اقوى من الموت .

\* \* \*

وختم الشحاذ التري الضرير حديث قصته وقال : وهكذا مات الامير  
مسيلة ، وحكم بلاد القرم ولده طليق .

وهتف قطاعو الطرق المستمعين : هبنا يا الله قلباً كمثل قلب الامير  
الشيخ ، وحباً اقوى من الموت ، كحب الامير الجامح .

## بطولة طفل

عن مكسيم جوركي

من العسير عليّ رواية هذه القصة الصغيرة ، لأنها ليست على شيء من الأهمية .

عندما كنت صبياً صغيراً ، تعودت ان اجمع بعض اولاد حيّنا الصغار ، واخرج برفقتهم الى الحقول النامية القريبة من المدينة ، وإلى الغابة البعيدة قليلاً عنها ، والمرصوفة بالأشجار الباسقة ، لنلعب ونلهو ونقضي ايام الاحاد والاعياد خلال فصلي الصيف والربيع .

وكان الصغار يهللون فرحاً وغبطة بتلك الفرص السعيدة ، التي تتيح لهم الفرار من جو المدينة الخانق ، ومن شوارعها المزدحمة بالسكان والقطارات . وكانت امهات رفاقي يزودن اولادهن ببعض ارغفة الخبز والحلوى لهذه المناسبات ، وغالباً ما كنت اتزعم الاصحاب واسير في مقدمتهم كما يسير الراعي امام قطع من الماشية ، فنخترق شوارع المدينة ، ونجتاز الحقول الى ان نهب قلب الغابة الكبيرة ، التي كانت تبدو لانظارنا بجبالها الزاهي واخضرار افنان اشجارها الباسقة وبما كان ينبت على ارضها من حشايش سندسية الالوان .

وكنّا عادة نعمد الى الرحيل في هذه الرحلات ، قبل بزوغ الفجر ، فنترك المدينة في الساعات التي تفرع فيها نواقيس الكنائس

وتدعو المؤمنين الى تقديم فروض صلوات السحر ، فيظل رثيها يدوي  
في اذاننا الى ان نبعد عن المدينة ، ونقطع المسافات الشاسعة ، واقدامنا  
تطأ التراب الناعم الذي يكسو تلك الدروب الطويلة ، فنلاحظ ان  
خطواتنا تثير وراءها سحباً بليدة من الغبار .

وعند انقاص النهار ، وحين تشتد لفحات الطبيعة الحساسة ،  
يكون التعب قد انهك قوى الرفاق لكثرة ما لبوا وركضوا وراء  
بعضهم وكم قفزوا وتسلقوا جذوع الاشجار .. عند ذلك كسنا نجتمع  
عند طرف الغابة لتناول طعام الظهيرة ، ثم يأوي بعض الرفاق الصغار  
بضجهم ويرقدون تحت الاشجار يستظلون افنانها الباسقة فترد عنهم  
بعض لظى حرارة الشمس اللافتحة وينفون .

بينما يتجمع الرفاق الكبار حولي ، راجين أن أروي لهم بعض  
النكات المستلحة ، والنوادر اللطيفة والاقاصيص الجميلة ، وكنت اروي  
لهم ما يحضرنى منها ، وابتادل النقاش معهم فألهو ويلهون ، واثرت  
ويثرون .

اني ادرك كيف ينخدع الشباب اليافعون في مقدار عملهم  
ومقدرتهم ، كما واتي ادرك ان النفوس في مثل هذه الفترة من فترات  
الحياة كيف تكون بمثابة بحب الخلاء والتباهي دون ان ترتكز على  
اصول في الاساس . ولكنني اعترف على الرغم مني لشعوري غالباً ،  
وخلال هذه الاحتمات الصغيرة على طرف الغابة ، اني اتخطى العتد  
الثاني من عمري ، وان الرفاق المحيطين بي شباب من احكم الرجال  
وارجحهم عقلاً وادراكاً ونضوجاً .

كنا نقف تحت قبة السماء الزرقاء التي لا يحده مداها ، فتلوح لنا  
سعة تلك الغابة وهي تنتشر امام عيوننا ، بمسا تحتويه من مختلف الالوان ،  
ويغمر هذا كله السكون والصمت والاستقرار .

وبين الفينة والفينة ، كانت النسيمات العليقة تهب علينا ناعمة بليلة  
فترى افنان الاشجار تهتز ببطء ، والحشائش النامية تتمايل وتتلاوى  
بهدهوء ، ثم يلي ذلك السكون والصمت ، ويغمر الكون نفوسنا  
بالصفاء والاطمئنان .

ومن حولي كان يجتمع رفاقي الصغار ، الذين تزدهر نفوسهم  
بالنقاوة والبطهر ، وخواطرهم باللطف والايناس ، لقد تجمعوا الاطلاع  
والنقاش ، يودون معرفة كل شيء ، عن مباحج الحياة ومسراتها  
ومآسيها المفجعة .

تلك كانت خيرة ايامي السعيدة ، تلك كانت ذكري اعيادي  
الحقيقية . وكانت روحي اذ ذاك تجوب الارض المظلمة وتطالع على ما  
يظلل العالم من شقاء وألم ، فأضفي عليها من صفاء طفواني ، وبراعة  
افكاري ، وظهر مشاعري واحاسيسي ، ما يريني نفوس العالم وقد  
اغتسلت وشفئت قلوبهم عن كل خير ، فيصفو أديم ذاك الكون ويزداد  
التمازج اشعة المحبة ، ويغمر نور السلام سائر العالم .

وفي احد الايام خرجت من المدينة الى الحقول وسط رهط من  
رفاقي الصغار ، وفي طريقنا التقينا بانسان غريب . وكان هذا الانسان  
طفلاً حافي القدمين يرتدي جلباباً ابلته السنون ، ولم يبق عليه غير  
الاثر . له حاجبان كثيفان شعرهما مدلمم السواد ، وكان نحيف البنية  
وشعره المشعث يماثل صوف فروة الماعز الاسود .

وكان يحتاج ذاك الصبي الصغير موجة من الاضطراب كمثل من  
فقد شيئاً ، أو مثل من يقاضي الماء نفسياً بليغ الاثر . واعلمه كان يبكي  
ويذرف الدمع منذ لحظات خلت . وهذا ما كان يدل على قسائم محياه  
دلالة بارزة . كان جفنا عينيه متورمتين ومحمرتين وواضحتي التورم  
والاحمرار في وجهه ازرق ينطق باعنف صوت ، ويرسم باجلى بيان

ان صاحبه الاعرج النحيل يضنيه الجوع الشديد .  
وعبر الصبي بين شمل الرفاق رغم زحامهم ثم وقف في منتصف  
الطريق ، وثبت قدميه العاريتين بقوة وعزم في تراب الارض البارد ،  
بينما فتح شفثيه الزرقاوتين المحيطتين بفم من اجل الافواه في فزع .  
وفي اللحظة التالية كان جسده كله قد انتقل الى الرصيف الثاني من الطريق  
فقد قفر قفزة رشيقة نقلته بسرعة فائقة .

وصاح الرفاق : اقبضوا عليه !.. اقبضوا عليه !.. امسكوا هذا  
الشريد المنبوذ !.. هذا الشريد الصغير !..

وخيل الي انه سيفر من امام رفاقي جزعاً ، وانما ارتسم الملح  
على وجهه النحيل ؟ وبرز في عينيه السوداوين الواسعتين ، وارتجفت  
شفثاه ، ولكنه لم يهرب ، بل وقف وسط الجمع الصاحب المنادي الصارخ  
وقف مرتفع القامة ، وهو يحاول ان يبرز عضلات وعظام صدره  
الخشن الجاف ، وراح يطيل بقامته ، بينما شبك كفيه وراء ظهره  
وخأة قال بصوت مرتكن هادي ، لكنه ينطوي على الكثير من  
الضراعة والاستجداء : أتودون ان اعرض امام انظاركم بعض العابي ؟  
وخيل الي في البدء ان كلام الصبي البائس لم يكن غير وسيلة  
المدافع عن نفسه تجاه ذلك العداء المهاجم الموجه اليه من سائر الرفاق .

وتلقى الرفاق هذا المرض بكثير من البهجة والاهتمام ، وابتعدوا  
عن الصبي فاسحين له فراغاً شاسعاً يعرض فيه العابه ، ولم يبق من  
نظرات الازدراء الموجهة اليه ، الا ما ارتسم على وجود الرفاق الكبار  
الميايين بطبائعهم الى القسوة والعنف ، وحدثوا به بنظرات مليئة بالمشك  
والريبة ، وقد كان اطفال حيناً على اسوأ العلاقات دائماً مع اطفال  
الاحياء الاخرى ، ويعتمدون بتفوقهم وامتيازهم على الجميع ، وما كانوا على وفاق  
ومحبة ، بل ينكرون على الآخريين كل تفوق وامتياز .  
واما الرفاق الصغار . فقد نظروا الى الامر ببساطة وفي كثير

من التساهل واللين وهتفوا جميعاً في صوت واحد : هيا اعرض علينا العايك التي تعلن عنها !

وابتعد الصبي الجميل النحيل عن السياج ، واحنى جسده الصغير البارز العظام الى الوراء معتمداً باصابع كفيه على الارض ، ثم رفع ساقيه في الهواء ، حتى تمكن من الوقوف على يديه ، وحينئذ رددت كلمة : فوق .

ثم بدأ يدور حول نفسه ويتلوى كمن مسه لهب . واخذ في تحريك ساقيه وذراعيه بحركات رشيقة وسريعة ، وكان لون بشرته القمحي يبدو للعيان من خلال الثقوب الكثيرة في قميصه وبنطالونه ، كما كانت عظام كتفيه المدببة ، وعظمتا كوعه الحادتان ، حدة اطراف انزوايا تشاهد بجلاء وهو على هذا الوضع الغريب .

اما عظام رقبته فقد بدت كأنها لجام ربط به هذا الشقي الطفل وخيل الي لو انه مارس لعبته هذه مرة اخرى لتحطمت عظامه دون ريب واسمعنا بأذاننا صوت تحطيمها .

وتصيب العرق من سائر اعضاء جسده ، من جراء هذا المجهود الذي بذاه . تبلل ظهر قميصه ، ولكنه كان كما انتهى من كل حركة يقوم بها ، ينظر نحو الرفاق الصغار ويتسم لهم ابتسامة مصطنعة لا حياة فيها .

وكان من المحزن حقاً وانت تحمدق اليه خلال تلك الابتسامة ان ترى عينين تنطقان عن صاحبها بأنه يروح تحت اشد الآلام وارهبها . كانت عيناه تطرفان باستمرار وكانت نظراتها لا تدلان على معنى من معاني الطفولة البعيدة عن المموم والمتاعب .

وشججه الاطفال بصراخهم العالي ، وراح بعضهم في تقليد حركاته أو كانوا يحاولون ذلك . وارتفعت اصوات الصغار الذين فشلوا

في التقليد ، ولم ينجحوا سوى ان يتمرغوا في التراب وإلا في ان يوجعوا اجسادهم . كان بعضهم يصيح الماء والبعض من الحنق والغضب والبعض الآخر من الفشل والاختفاق .

ولكن كل هذا انتهى . وتلك اللحظات السعيدة في مقياس الطفولة انصرفت حبالها حينما انتهى الصبي من ممارسة العابه . ونظر الى الاطفال نظرة الاستجداء التي يجيدها المحترفون وقال وهو يمد يده :  
- والآن امنحوني بعض الشيء . . .

وخيم الصمت على الجميع . . . وكان صمتاً طويلاً الى ان سأل أحدهم مستغرباً

- اتبغني ان نمتحك بعض الدراهم ؟ . . .

فاجاب الصبي : نعم .

- هذه سخرية مدهشة !..

وقال آخر : لقد كان في استطاعتنا ان تؤدي نحن هذه اللعبة كما أديتها انت انه لناخذ نقوداً نحن ايضاً .

لقد خالق السؤال جواً من الاحتقار ساد الاطفال وسيطر عليهم من ناحية الصبي ، ، ونظروا اليه في استخفاف ، وفي امتحان لشأته ، ثم مضوا عنه سيممين نحو الحقول وهم يضحكون ساخرين ، ويرددون بعض الشتائم من حين الى حين .

لم يكن احد من الرفاق يملك نقوداً .. كانوا جميعاً من المفلسين بينما كنت املك في جيبى عشرة كوكبات ، فوضعت القطعة النحاسية في كف الصبي الملوثة بالتراب ، فلمسها بأصابعه وقال وهو يتسم لي :  
شكراً لك !

ثم خطا في طريقه مبتعداً عني ، فشاهدت القميص عند ظهره

ملطخاً ببقع دكناء وقد التصق بعظمي كتفيه . فناديته : انتظر ! ..  
وقف قليلا ! .. ما هذا ؟ ..

فتوقف عن السير ، واستدار نحوي ، ونظر إلي نظرة فاحصة  
منأملة . وفي نفس الابتسامة الهادئة الودية التي رأيها في وجهه منذ  
لحظة وقال :

- هذا الذي في ظهري ؟ .. لقد سقطنا من علو اثناء قيامنا  
ببعض الالعاب في يوم العيد .. وما زال والذي طريح الفراش الآن ..  
ولكنني انا على خير ما يرام .

ورفعت القميص عن جلد ظهره فرأيت جرحاً مستطيلاً يمتد من  
كتفه اليسرى الى فخذه . . . . جرح اسود قائم اللون تعلوه قشرة  
غليظة جافة . وقد تشققت تلك القشرة في مواضع كثيرة بسبب  
التمرينات الرياضية التي قام بها امامنا ، وفي موضع التشقق كان ينز  
دم فان حار يسيل على ظهر الصبي .

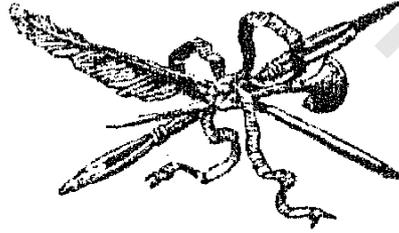
ونظر الي وهو يتنسم قائلاً : لا بأس علي ! .. انها لا تؤلمني  
الآن ... وان كنت اشعر بالميل الى حكها باستمرار ... ولكن هذا  
لا يهمني كثيراً .

وفي شجاعة تمائل الابطال كان ينظر الى عيني وهو يقول في  
لهجة رزينة كلهجة الرجل المحرب :

- قد تظن اني اعمل من أجل نفسي الآن ! .. ولكنني  
أقسم لك بشرفي ان هذا ليس صحيحاً . ان ابي ونحن جميعاً لا  
نملك شيئاً من النقود . . . وقد كان جرح ابي بليغاً . لذلك فاذت  
ترى معي انه لا بد لي من العمل من اجله . . . ولا يغرب عن بالك  
اننا منبوذون وان الجميع يسخرون منا ويحتقروننا .

كان ينطق وهو يتنسم في غبطة . فلما انتهى من كلامه  
أخى رأسه المشعث قليلاً ثم مضى عني مسرعاً الى ان تواري عن  
ناظري وراء بعض المنازل .

كل هذا حديث لا معنى له ولا غاية .. حديث في منتهى البساطة  
أليس كذلك ! ولكني كثيراً ما اذكره في ايام شقائي وعنائي .  
وكما ذكرته اخيت رأسي اجلالاً لبطولة ذلك الصبي الرجل !..



## بشر لا يودون الحياة

عن مكسيم جوركي

في احدى المواخير الكائنة تحت الارض ، وحوك احدى الموائد الخشبية ، كان يجلس « سيباجا » منفرداً ، يحتسي الفودكا ، ويتناول طعامه المؤلف من الخبز والبطاطا واللحم .

وكانت جدران هذه الخانة قد اصطبغت باون اسود قائم لما علق عليها من سحب دخان السجائر ، وهباب المطابخ ، ومواقد الفيران المشتعلة ، لقد كانت السحب الكثيفة المتلبدة تحجب ايضاً المصباحين العالقين في سقف الخانة وتضعف من ذوائب نورها ، فيغمر جو المكان لون ازرق قائم .

وعلى المكتب المعد لصاحب المقهى ، كان مصباح يرسل من ذوائبه ضوءاً اكسثر من غيره ، وذلك كي يتمكن رب العمل من استيفاء مطلوبه من حساب الزبائن الخمورين .

وفي هذه الليلة التي اشتد بها حلك الطبيعة ، كانت السماء تنفث هم غضبها وثقتها على الارض ، تهدد وتقول ، وتزأر بعواصفها . فتتملع لها قلوب الساكنين الامنين . وتغمر المدينة برزازات البرد ، وتنف الثلوج ، وبانفحات الصقيع البارد .

ورغم ثورة الطبيعة الصاخبة ، لم تؤثر على صخب رواد الحانة ،  
ولا اضعفت من وضائهم : ولا منعت سحب الدخان المتلبدة المنتشرة  
في افقها عن الظهور ، ولا رائحة الشواء المنبعثة من الطناجر والصحون  
والتي كانت تقرب الى الخارج ، وتمتزج بهبوب الرياح الجارحة ، فتتقلها  
تلك ، عبر الطبيعة الداكنة الغضوب .

جلس سيماجا بثبات ، ودون حراك ، يحدق بعينه عبر باب الحانة  
وكان يميل بجسده القوي الى الامام احياناً ، ويحجب بيده عينيه قليلا  
ليبعد عنها سحب الدخان ، وليتمكن من معرفة القادمين الى الحانة  
ما بين الحين والآخر .

لقد كان يحتاج خواطر سيماجا موجة من القلق ، ولذا كان  
حائراً ، مشرد الافكار ، يتفحص كل ما حوله ، ويحلق بوجوه  
الوافدين ، علته يستطلع اي خبر ، او يقع على اية بادرة ، حتى اذا  
ما اطمان لوصول احد الداخلين ، يأخذ بيده كأس الفودكا ويصهها  
دفعة واحدة في جوفه ، ويلحقها بست قطع من البطاطا ، ويقطعة او  
اثنين من اللحم ، يعضها ما بين انيابه الغزار ، فيتصاعد من فمه  
العريض الغليظ صوت المضغ ، وبهودة كأن يلمق بلسانه شاربه  
العسكري الكثيف كلما فرغ ذلك الفم من الطعام .

كان وجه سيماجا عريض القسما ، وكانت عظامنا وجنتيه بارزتين  
اما عيناه فكانتا واسعتين ، تطالان من وراء حاجبين كثيفين ادلم  
سواد شعرهما ، حتى كادا يحاكيان بلونها ديجور الليل الداكن ،  
ويتطاولان كثيراً ، وتدل احد الحاجبين حتى كاد يتصل بفتحة العين  
اليسرى .

لقد كان وجه سيماجا من الفئة التي لا تبعث الثقة والاطمئنان حتى ولا  
بين صحبه وخلانه .

كان سيماجا قد شرب من الفودكا آخر قطرة في كأسه وهم  
ان يتبعها بسواها ، عندما فتح باب الخانة على مصراعيه ، فأحدث  
بفتحه وغلقه دويًا مرتفعًا .

وخفاة اندفع منه الى الداخل كتلة بشرية كروية الشكل ملتفة  
بمخرق ممزقة بالية ، وكأنها بالة من الجيش ، وصاح هذا الكائن الغريب  
المنظر قائلاً :

- خذوا حذرکم يا اعمامي !!

وخيم الصمت على عموم رواد الخانة ، فانقطعت الاحاديث وخفتت  
اصوات المغنين ، واختفت الشئام والقهقهات ، وقطع حبل هذا  
السكون صوت أجش النبرات يسأل :

- هل تدرك ما تفوق يا ولد؟ ..

وأجاب الولد الكروي الشكل : يحق قطع رأسي ان كنت من  
الكاذبين ، لقد شاهدتهم بأب عيني يزحفون من كلا الجانبين ، بعضهم  
من الفرسان يمتلون صهوات خيوطهم ، وبعضهم من المشاة ، ومنهم  
اثنان في الملابس المدنية ، وهم يسيرون تلة وراء تلة .

- وعمما يبحثون؟ .. هل علمت شيئاً؟ ..

- اغلب الظن ، انهم يبحثون عن سيماجا ، لقد سمعتمهم يسألون  
« نيكوفروفيش » عنه .

كان صوت الطفل ينبعث بوضوح وانفصال ، ويدوي في جو  
الخانة الداكن الصامت ، بينما كان جسده يتدحرج كالكرة ، فيقفز  
من هنا وهناك وبتيه بين ارجل الذين التفوا حول مكتب صاحب  
الخانة . ودنا سيماجا من الولد وسأله : هل اعتقلوا نيكوفروفيش؟

- كانوا يبحرون في اثره .

- واين اهدوا عليه؟ ..

- عند العممة ماريا .

- وهل آتيت انت من هناك ؟

- نعم . جئت بخفة متسللاً من وراء افنية المباني ، ولكنتي سأعود ادراجي من حيث آتيت في أحد المراكب الشراعية عن طريق البحر ، واغلب الظن ان رجال السلطة يشنقون الآن شخصاً آخر .  
- حسناً . انصرف الآن وكن على حذر .

وفي اقل من لمحة النظر ، كان الولد يتدحرج الى الخارج ، وتبعه صوت صاحب المقهى يوحنا بتروفيتش ، ذلك الرجل الورع التقى الذي وخط الشيب شعره وكان يضع على عينيه نظارتيه الكبيرتين ، وعلى رأسه قلنسوة كالرهبان ، لا تحجب من رأسه سوى الجزء الاسفل من الجمجمة ، وكان يقول :

- انظروا نحو هذا الحيوان الماكر ، لقد سرق بسرعة قطع اللحم ، وافرغ في معدته كل ما في الاناء من ماء . . .

وكان سيهاجا قد وضع قبعته على رأسه ، واقترب من الباب ، فلما سمع صوت صاحب المقهى يدوي في الخانة ، سأله قائلاً : ماذا سرق ؟ . .

- سرق اللحم ، ونظف الصحن . يا للشيطان كيف استطاع هذا الملعون فعل هذا بأقل من لمح البصر . انه ثعلب صغير لعنة الكنيسة عليه ، لم يبق قطعة واحدة من اللحم .

واجاب سيهاجا على ذلك : لا بأس عليك . ستعيش بعد هذا الحادث ! . .

وكانت العاصفة لا تزال تزار في الخارج وتضفي على الكون جوها الرهيب ، ولم تزل الثلوج تنساقط في غزارة متواصلة ، فوقف سيهاجا برهة عند الباب يصيح السمع الى ما يجري وراءه ، ولكن لم يتسرب الى سمعه غير هبوب الرياح ، وزئير العاصفة ، وهبوط البرد

والثلوج من سقوف المنازل .

ثم سار بانتباه شديد بضع خطوات ، ولما اطمأن قليلاً اندفع بخطوات حثيثة الى الخارج ميمماً سيره عبر المدينة .

وما كاد يخطو بعيداً حتى تسرب الى سمعه اصوات تلحق به ، وجلبلة خطوات تتبع أثره ، فتسلىق سووراً آخر ثم دخل في امان فناءً واسعاً ، وظل يتسلىق الاسوار المجاورة ويعبر الافنية حتى وجد نفسه اخيراً في شارع يقابل الشارع الذي تقع فيه حانة يوحنا بتروفيتش .

لقد أمست عموم الاماكن التي كانت آمنة ، مضطربة في هذا المساء وذلك بسبب جولة رجال الدرك المفاجئة في هذا الليل الرهيب . ان قضاء الليل بكامله في الشوارع في مثل هذا الطقس العاصف ، ليس بالامر السهل ، زد على ذلك فهو على خطر يحدق به ، قد يلتقي باحد الحراس الليليين او ببعض رجال المخافر .

وظل سيماجا يسير بهوادة وحذر ينتبه الى أقل بادرة ، يوزع انظاره فيما حواليه ، وخيل اليه ان المباني ، ومصاييح الشوارع تزحف نحوه وقد غطيت جميعها بطبقات من الثلوج الناصعة البياض . وعلى غير انتباه تسرب الى سمعه صوت غريب تحمله الى اذنيه العاصفة وكأنه عويل طفل صغير .

ووقف سيماجا برهة واستدار برأسه عبر الصوت ، وبدأ كحيوان مفترس يتأهب للانقضاض على فريسته .

وتلاشى الصوت ، وهز سيماجا رأسه قليلاً ، واستأنف سيره وهو يجذب اطراف قبعته علته يخفي بها قسبات وجهه ، وحاول ان يفرق رأسه بين كتفيه لمنع عن رقبتة تساقط نطف الثلوج الباردة .

وجأة شعر بشيء عميد تحت قدميه ، فارتمش جسده المفاجأة ،

وما ان تما لك جأشه حتى انحنى بقامته نحو الارض يتبين ما عليها :  
ما هذا ؟.. وتلس بيديه شيئاً كادت الثلوج تغمره وراح ينفض الثلج  
عن تلك الحزمة . وما ان تبين ما بها حتى هتف : يا إلهي ! . . .  
انه طفل .

وشعر سيباجا بدفء انفاس آدمي بينما أخذ الطفل يتحرك بين  
يديه ، وهو مبلل الثياب بتأثير الثلوج المتساقطة ، وكان وجهه أقل حجماً من  
قبضة سيباجا ، وجه شديد الحمرة بمحمد الحيا ، اما عيناه فكانتا مغلقتين  
ولكن فمه كان مفتوحاً ومنفرج الشفتين وهو يبكي .

وكان الماء يقطر من الخرق البالية التي لف بها من رأسه الى اخص  
قدميه وكان الماء يغمر وجهه ، ويتساقط للعباب من فمه الخالي الاسنان .  
وتملكك الدهشة قلب سيباجا ، ولكن ادركته الرأفة بانقاذ هذا  
الطفل من موت محتم لكثرة ما ابتلع من الماء الثلج ، ولاح له ان  
خير الوسائل لانقاذه هو ان يمتصر لفاقات الخرق ويصفي منها ما علق  
عليها من الماء ، فأمسك الطفل من قدميه وجعل رأسه ناحية الارض  
آملاً ان هذه الطريقة تفي بالغرض المنشود ، ولكن هذه العملية لم  
ترق للطفل الصغير فارتفع صوته بالبكاء والنشيج ، وكان صياحه يدعو  
الى الرثاء والشفقة عليه .

وصاح سيباجا يخاطب الطفل : اغلق فمك . اغلقه من تلقاء  
نفسك ، والا علمتك كيف تغلقه ... ومع ذلك فانت تنبح كالكلب .

غير ان حديث سيباجا لم يؤثر في الطفل . ومضى في عويله  
وصراخه مما جعل سيباجا يشعر بسخافة تفكيره ، وعاد يتحدث : ماذا  
تراني افعل بك أو من أجلك ايها الاخ ، انك مبلل الثياب وبارد ،  
وطفل صغير ، ولكن اين استطيع ان ادفئك وابعث الحرارة في جسدك الهزيل .  
واستمر الطفل في عويله .

- الواقع يا صديقي انني لا اعرف مكاناً اضعك فيه .

وانحنى سهاجا ليميد الطفل الى مكانه في الارض ، ابق هنا الآن ، وإلا فقل لي بالله اين اضعك ؟ انني يا اخي لقيط مثلك . . . نوع آخر من اللقطاء . . . وداعاً يا اخي .

ووضع الطفل على الارض ثم خطا خطوات بطيئة وهو يحدث نفسه : لو لم اكن مطارداً الآن لاستطعت انقاذك ، وابعادك عن الخطر ، ولكن ما حيلتي وانا الآن لا استطيع ان امد لك يد العون ؟ حتى وانني لا اعرف كيف انقذ نفسي من شرهم واذاهم ، فكيف استطيع ان افعل مع الآخرين خيراً وما وجدت من الآخرين اي خير . اغفر لي . . . انك روح بريئة . . . ولكن امك . . . لعنة الله على امك ! .

وما كاد سهاجا يصل بمحيثه الى هذه النقطة الحساسة حتى وجد نفسه يعود نحو الطفل يرفعه بين ذراعيه ثم يلفه بمعطفه وهو لا يزال يرمي امه بالشتم والسباب واللعن ، ومضى في طريقه وقد استولى عليه احساس جديد بالحزن والألم من اجل الطفل .

وغمر العطف قلب سهاجا ، وشعر بتأثر شديد على هذا الطفل اللقيط ، فكان في عطفه وحنانه هذا ، اشبه بطفل يستحق العطف والرثاء هو الآخر .

وظل الطفل يتمايل تحت معطفه في بطاء ، وهو يعول وينتحب ويصبح صيحات عسيرة الوضوح .

وشعر سهاجا بحرارة جسد الطفل الدافئة تنتقل الى جسده ، لانه لم يكن يرتدي تحت معطفه سوى قميص ممزق بال . وراح يحدث الطفل ويناجيه : ايه ايها الآدمي الصغير ! انك لعلي حالة لا تحسد عليها ، وماذا بإمكانني ان افعل من اجلك اكثر من هذا ؟ .. ولكن

امك ؟ .. لا تتحرك هكذا ايها اللعين ، اكرم انفسك واخفت  
نحيبك ، وإلا وقعت اسير شرهم واذاهم .

وبقي الطفل على حراكه وعويله ، وتوقف سباحا بجأة ، وقد  
اعتراه الدهول ، فصاح قائلاً :

-- يا الهي !.. ان الطفل يبحث عن الثدي .. ثدي الام ..  
يا الهي !.. ثدي الام .

وارتعش سباحا دون ان يدري سبب ارتعاشه . قد يكون  
الشعور بالحياء والخجل ، وقد يكون الشعور بالذلة والعار ؟ . واحس  
بمواطفه شعوراً جامعاً يدفعه الى حماية الطفل والحرص عليه ، وغمر  
الحب قلبه وحنانيا خلوعه ، فاهتز واضطرب ، وهمس في ألم المكتئب ،  
وتابع حديثه : اني .. اني كالأم ايها الاخ الصغير !.. عما تبحث ؟  
وماذا تراني اصنع بصدري ؟ .. اني شريد بأس : واذا صدقتك الخبر  
فاني اتعس انسان يعيش على وجه هذه الارض : وبحيا ما بين البشر  
أتدرك يا صغيري لماذا كثرت تعاسي وازدادت اشجائي ؟ .. كل ذلك  
من اجلهم واجلك . من اجل الذين حرّموا العطف ، واغتصبت  
حريتهم فافتقدوا عطف الام دون ودفء صدرها الحنون وافتقدوا الاب ، وبغده  
ضلوا المسير في طريقي الحق والنور ، واصبحوا في مجاعة روحية  
وجسدية ، يفتقرون الى من ينتظرهم ، وينود عنهم ، ويحمي نفوسهم  
من الشر والاذى .

اتدرك ما هي الام بالنسبة للبشر ؟ .. هي الارض يا طفلي العزيز ،  
وقد اتزعوها منا ، فاصبحنا مشردين بأئسين نبات في العراء . أو  
لا تعرف ما هو الاب ؟ .. هو السلطة الحاكمة التي اسلمناها قياد نفوسنا  
ووكلتنا اليها امر شؤوننا ، فتخلفت عنا يا ولدي مثلما تخلت عنك امك  
في هذا الليل البهيم .

لا تغضب ، ولا تحنق على امك يا صغيري !.. فلو بقي والدك الى جوارها يرد عنها غائلات الزمن ، لما تخلت عنك بمثل هذه القساوة الرهيبة . ولكن يا صغيري والدك ... والدك الذي تخلف عن والدتك البائسة بعد ان نال منها وطره ، وخلف لها وراءه ثمرة الجريمة ، فكنت انت كبش المحرقة على مذابح اغوائها واغرائها وجشع نفسيهما وانانيتهما . لقد امسيت انت ايها الطفل البريء الضحية .

لقد تخلفت عنك امك ، يوم اثقل كاهلها جور والدك ، فانسأقت في مدارج البائسات الشاردات ، بينما انساق والدك وراء الاثام والمذات يعيث في الارض فساداً ويزرع بذور الشر فيها فتلد اولاداً تنكر لهم وتدفع بهم للمبيت في العراء ، وللبؤس والشقاء ، والاعذاب والفناء ، أدركت يا طفلي ما هو الاب ؟.. ولماذا تخلفت عنك امك ؟ فكل ذلك لكي تستر عارها بسر مولدك . لماذا لا تنام ؟.. نعم يا عزيزي نعم ... نو ... نو ... نو ... هو ... هو ... هو ... انك لن ترضع شيئاً من صدري ... ثم فهذا خير لك . الا يصبح على الاقل مصيرك كمثل مصيري ... نو ... نو ... نو ... هو ... هو ... هو ... كان يجب ان تفعل هذا امك ... ولكن ! مسكينة لم تمنحها السماء هذه الامنية الغالية .

كف عن البكاء ايها الشرير ، فان بكاءك سيدفع بي الى سجنهم الرهيب ، أو فلربما أيضاً الى جبل المشنقة . لم يرضك حديثي ايها الطفل اللعين ، فغفوت ، أليس كذلك ؟.. دون ريب ادركت المخاوف التي تحيط بي وبك ، وان بقيت معي ، وسرت على دربي .. فغفوت ونمت ايها الجبان !.. لا بأس ! لا بأس ، اغف الآن فعسى تستيقظ روحك يوماً ، وتتفتح عيناك على نور الحق والحقيقة فترى على قبس هديهما شرهم واذاهم . لا بأس !.. لا بأس ، دعني الآن اسير في

صعارج الدروب الشائكة ، اتلقى صواعق السماء والأرض ، فلربما غداً  
تعرف كم شقيت من اجلك في هذا الليل البهيم ، فتذكر اسمي بامتنان  
وتحفظ ودي في امان ... أليس كذلك يا صغيري ؟ .

وشعر سهاجا بدمعة كبيرة تنساب من عينه ، وتعلق على خده  
وجف حلقه واختنقت فيه الآهات واجتاحت صدره موجة من الحزن  
الشديد فاستوتت على كامل مشاعره وخواطره .

ان تحت معطفه طفلاً صغيراً ، وان عليه ان يسير في الشوارع  
المهجورة ، غير هياب بمواصف الطبيعة الثائرة ، وانه لن يستطيع ان  
يفعل من اجله اكثر من هذا .. وتسرب الى سمع سهاجا اصوات  
حوافر الخيل تتبع اثره ، وبخافة بادره صوت آدمي أجش حازم ، غليظ  
النبرات يسأله : من هناك ؟ .

فوقف سهاجا بالحال ، وتملك قلبه الجزع الشديد ، وعاد الصوت  
يسأل : ماذا تحمل تحت معطفك ؟ .

وكان الأمر احد فرسان الجند ، واقرب من سهاجا بجواده ،  
وقال : تكلم . ماذا تضم الى صدرك ؟

- انني احمل طفلاً ... طفلاً صغيراً .

- ومن انت ؟

- سهاجا الختيرسكي .

- أهذا انت ؟ .. اننا نبحث عنك ... اقرب وسر سعنا الى  
جانب رأس الجواد .

واجاب سهاجا وقد ضعفت بجسده كل مقاومة وقال : قد  
يؤذينا المسير في منتصف الطريق ، الا يمكنني السير الى جانب  
جدران المنازل ؟ .

ولم يدرك رجال الجند معنى ما يقول ، وانكبتهم لم يتانعوا فيها

رغب . وظل سيهاجا يسير برفقتهم ، قرب جدران المباني ، وتحت شرفاتها وذلك كي يخفف عن الطفل سيول المطر المنهرة ، والجند يسرون باثره على ظهور جيادهم . يعبرون مسالك الدروب ، يتبعون بانظارهم خطوات المعتقل ، الى ان وصلوا المحقر اخيراً ، ووقف سيهاجا امام الضابط يقول : ماذا تريدون ان افعل بهذا الطفل ؟ هل بإمكانني ان اعمل من اجله شيئاً ؟

- اي طفل تعني ؟

- طفل اقيط . . عثرت عليه ، فقد حنان الام ورعاية الاب .

وأخرج سيهاجا الطفل من تحت معطفه ، وحمله ما بين يديه ، وقدمه الى الضابط . وما كاد الضابط يتبينه حتى قال : ان الطفل فاقد الحياة .

فدعر سيهاجا للنبأ وهتف : فاقد الحياة ! . كيف ذلك ؟ . . كنت اتحدث اليه طيلة الطريق . . اذن . يا للمسكين ، فانه لم يفهم كلامي ولم يدرك ما قلته له ، وما فعلت من اجله .

وصاح الضابط : بماذا تنطق يا رجل ؟

ولم يحر سيهاجا جواباً . بل نظر حواليه في يأس وقنوط . . . . . ومرت الذكرى المؤلمة بمخاطره . اذن . . . لقد كان يسير بالشوارع المتعرجة المسالك ، والدروب الشائكة العسيرة ، يجابه العواصف الصاخبة ، في ذلك الليل البهيم ، وفي صدره طفل فاقد الحياة .

واخيراً ، وقد اعتقل سيهاجا ، وما بقي امامه غير سجنهم الرهيب وقانونهم . . . . . النفي والتشريد ، او فلربما جبل المشنقة . . . . . ونظر الى جثة الطفل وتأوه بشدم وحسرة ، وتصعدت من حنايا صدره آهسة عميقة وهو يقول : أواه . . لقد رضيت ان يقبض علي من اجلك . . ظننت انك ستحيا . . ولكنك بشري لا تود الحياة . وهذا خير لك . . ان كان هذا قانون عدلهم . وصاح الضابط بحزم وقسوة : اقبضوا عليه ! اقبضوا عليه .

## ألم دفين

عن مكسيم جوركي

أذكر اني شاهدت تلك المرأة لأول مرة ، وقد كانت تسير  
بحزن أليم ، وراء نعش فقيد غال ، وهو في طريق مشواه الأخير .  
أقد كانت المرأة ترتدي حلة سوداء هفافة ، تجلبها من رأسها  
حتى اخمص قدمها ، وتفحس بدقة حول خصرها المياس النحيل  
فتبرز تقاطيع شكلها المتناسقة ، وجسدها المتعادل الرشيق ، فتبدو للعيان  
وكأنها قصبة خيزران تمايلها نسيمت السحر العذبة ، كانت شفهاها  
مطبقةتين ، والكن ومبيض عينها السوداوين يتألق بالجماع عجيب من بين  
قلمات الوجه الشاحب كالشمع ، والكثيب من جراء ما اعتمل بصدرها  
من الم دفين ، وحزن عميق . على فقيد ربما كان اشد المقربين الى  
نفسها . فوقعت في نفسي موقماً حسناً ، وشعرت حيا لها اني امام مخلوق  
بأس ، بل امام رمز حي ينطق بأبلغ مشاعر النبل .

ثم تلاقيت بها على شاطئ البحر ، في مكان قصي منعزل ،  
وكأنها فرت من ضوضاء المدينة وصخبها ، وجاءت لتخلد الوحسدة  
والانعزال ، وللاسكون ، بين احضان الطبيعة الهادئة المرتكنة .  
كان يحيط ذلك المكان المنعزل ، جبال شاهقة ، رمادية اللون ،  
تتصل بعضها الى بعض .

ولولا بعض التفكك اليسير من جراء ما ابقاه عليها زلزال بركان  
قديم خلفها سلسلة دقيقة الحبيك ، مرصوة البنيان . وعلى قمم تلك  
الجبال وعلى سفوحها كانت الطبيعة بفصولها الاربعة وباعاصيرها ، قد  
جلبت تراب الزمن فجلت وتولد منها بعض الحشائش النضيرة السندسية .  
وقد اجتمع حولها بعض من الحشرات الحية التي تألف العيش على  
صفحات التراب وتتم ما بين الحجارة والاخايد .

هناك وما بين مشاهد الطبيعة الصامتة ، كانت تجلس المرأة  
المعتزلة ، وقد اعترها الشحوب والجمود فكانت ما بين الحجارة الراسية  
كتمثال جامد . وكان صمتها ما بين هدوء الطبيعة يبرز بوضوح شديد  
بينما راحت النسائم العليلية تداعب اطراف ثوبها الاسود الشفاف ،  
وتلاعب ما انفلت من خصلات شعرها الناعم بطلاوة وايونة ، وكانت  
الامواج تنساق بعدها وجزرها من اعماق البحر اللجوج ، وتسعى الى  
الشاطئ مشاولة القوى لتتحطم على رواسب الصخور المتآكلة ، وتغسل  
بعائها المزيد اقدام تلك السيدة الحزينة الصامتة .

وكنت الحظ ما بين الفينة والفينة بعض دموع العين ، تنفلت  
من مآقيها وتندحرج ببطء على وجنتيها كجبات من اللؤلؤ شفافسة  
القطرات . فأشعر باندفاع عجيب نحوها ، وبميل شديد للتحدث اليها ،  
ولكن كانت تنقصني الشجاعة والاقدام لما فاجين عن التقدم نحوها  
ولا اجرؤ على التحدث اليها .

فاعتصم بالصبر وبالصمت ، واقبع مكاني مكتفياً باستراق النظر اليها  
ومراقبة ما يبدر منها وظل الحال بي هكذا الى ان كان ذات يوم من  
ايام شهر ايار المشرقة ، وقد اعاقني البحر نفسه على التحدث اليها .

لقد بات البحر في عشية ذلك اليوم في احتياج صاخب ، ولكنه  
اضحى مع انبثاق الفجر على موجات هادئة ، غير معتكرة ، تتدافع

ببطء ، وترمي بهوادة زبد مائها الناصع ، فتعمر احجار الصخور  
المترامية ، فتغسلها باقل من لمح البصر ، ويلتمع منها اشعاعات متعددة  
الألوان من جراء انعكاس اشعة الشمس الذهبية المتوهجة بالدفع والنور .

واندفع من بين المد والجزر موجة صاخبة ، اجتاحت الشاطيء  
بعد ارتفاع شديد ، ثم انحنت بذل وانحدار ، فتكسرت بقوة على تلك  
الصخور الجلودية ، وتناثرت رزازات مائها في ذاك الفضاء الواسع .  
واثارت بتحطيمها ، اصواتاً رهيبية ، وضجة كبرى ، وانفقت من فم  
المرأة المعتزلة صيحة مخافتة ، ثم هبت فجأة واقفة ، وراحت تنفض ما  
علق على ثوبها من رزازات المياه المتناثرة .

واندفعت نحوها اود معاوتها ، ولكنني صمدت امامها بنجمل  
وحياء ، وتوردت وجنتاي إذ وجدتها بغنى عن معاوتي لها .

وادركت المرأة ما بدر مني حياها ، فهلت قهقبات وجهها بالغبطة  
والحبور ، وافتر ثغرها عن ابتسامة لطيفة ، اشرفت قهقبات حياها  
على الاثر ، وتحركت احقان عينها برعشة خفيفة ، ثم وصل الى آذاني  
صوتها الهادى الرقيق وهي تسألني ، هل جزعت من اجلي ؟ .

وقبل ان تستمع الى جوابي ، تحوات بانظارها نحو البحر وقالت :  
وهذه موجة اخرى لا تقل اصطخاباً عن سابقتها . . . عفوك عني .  
لقد ازعجتك .

- ولكن .. كلا .. كلاً لم يزعجني شيء البتة .

لا تخف ذلك ، وقد رأيت ما انتابك . . . لقد عكرت عليك  
صفوة وحدتك وانفرادك ، وقطعت عليك جبل السكون . ومن العدل  
ان لا نعكر على اي انسان حلاوة تلك الوحدة . فقلت : انت . . .  
انت تنطقين باشياء عجيبة .

فقاطعتني بهدوء وقالت : حقاً ، ولكنني اقدر قيمة هذه الكلمات .

وسارت ببطء لتتقدم قمة صخرة اشد ارتفاعاً من سابقتها ، وعاد  
وجهها الى جموده ، وراحت تمدق بي ، في خلال الصمت الذي خيم  
علينا . ثم تحولت بنظرها عبر البحر الذي كانت امواجه لا تزال  
تصخب وتجيش بمداه وجزرها المستمرين ، وتندفع الى الشاطئ  
لتتحطم رغم ارادتها على تلك الصخور المتآكلة الجرداء .

وخطوات نحوها قليلا ، ثم همست بصوت بدأ خافتاً في اوله ثم  
اخذ بالارتفاع شيئاً فشيئاً الى ان تمت وضوح نبراته وقلت :

- سيدتي !.. ليس في الكون احب للنفس من الوحدة والانفراد  
والسكون . ولكن تنقصنا احياناً القوة القادرة على احتمال اقبال  
آلامنا . واذا افقدنا هذه القوى انهار اعتزال القلب ، ويكون  
مصيره الى الجفاف كمثل الارض الطيبة اذا لم يدركها الغيث من  
حين الى آخر .

فتحولت بنظرها نحو بيقظة صامتة ، ولاح في عينيها المها الدفين  
فقلت لها : لقد شاهدتك ذات مرة ، وانت تسيرين وراء نعش احد  
الاعزاء .. وكنت تبكين .. وها انت هنا في عزلتك ، تدرفين  
العبرات . فاجابت بصوت خافت النبرات كصوتي ، وكان واضح  
العبارات رغم انحاء رأسها ، وتصعدت من صدرها آهة عميقة وقالت :  
اواه ... لم يكن ذلك النعش باول نعش يسير وراء البشر ليشيعوا  
جثث امواتهم الى مثواها الاخير ، ولم تكن تلك الآلام التي تجتاح  
قلوب الاحياء على امواتهم ، بالكشيء المهم ، لأنها على الاقل ، اقل  
قساوة من دفن آلام الاحياء في قلوب الاحياء ... وهذا ما يحدث  
غالباً . أدركت معنى كلماتي .

- بلاريب . اني ادرك ما تفوهين به .

وشملنا السكون بهدوئه ، وكانت الامواج لا تزال تتلاطم تحت

أقدامنا وتتحطم ، فتتلاشى ثم تبعث من جديد . وكانت طيور البحر تنعب فوق رأسينا بعناد وظهاء ، ونسائم البحر تبعث في اجسادنا العزم والقوى ، وتمتع خيالنا بالانشراح والجمال ، وبدت صفحة مياه البحر الزرقاء متلائة تحت إشعة الشمس الساطعة ، فترسم بانعكاساتها خطوطاً رائعة متعددة الالوان ممتزجة بحمرة ذهبية متوهجة كالوقيد المتلهب .

وإذا اخذت السيدة تحدثني وقالت : استحلفك بالله ان تصدقني هل سعى امرؤ ما ولو مرة واحدة ان يشاركك في سمادته ؟ .. كلا . انا لا اؤمن بحدوث مثل هذا ، اما في تعاسته ، فلا بد ان يكون قد سعى اليها تكراراً ، ألسنت مصيبة بذلك ؟ .. وانت ماذا ترى ؟ ..

واستدارت بنظرة المرة الثانية عبر الخضم الشاسع ، وهي تراقب بعيون يقظة فعل المد والجزر المتلاطمة الصاخبة ، وكذلك عادت فانقلت بانظارها رويداً رويداً ، وراحت تمتع الطرف بمنظر طيور البحر الناعبة الناعقة ما بين زرقة الماء وزرقة السماء ، ثم تابعت حديثها : اننا نتحدث كثيراً عن اشجاننا ، وغالباً ما نستاء لكل ما يحيط بنا ، فنفرقه بجو زاخر بتأوهاتنا وحسراتنا ، وحين نفقد الحياة نبقى في كل مكان بقايا اشجاننا الشخصية ، فيخلق سوانا وسرعان ما يتخذ مكاننا في الحياة ، قد يكون رجلاً قوياً كالابطال ، ولكن عدواناً تنتقل اليه في الميراث قبل ان ينساق على دروب الحياة المريره وقبل ان يتقلب بين مراحل الزمن ويعرف خيرها وشرها ، يؤسها ونميمها . نحن لا نستطيع ان نرسم لوحة صادقة عن ميولنا دون ان نخلط معالمها بالالوان الشاحبة القاتمة ، اما الالوان الزاهية الوهاجة التي تبعث في النفوس الاطمئنان ، فالنا نبقىها لجراحنا الخاصة ، ونحن لا نحفظ بخواطرننا ولا سيما في الشعر والرسم الا ما يشغل احساسنا ، ويوهن قوانا ، وكل ما يكبدنا شخصياً الحسائر الفادحة .

وهكذا يظل من يأتي بعدنا يسمع كل ذلك ويراه ، وغالباً ما تهتك قواه مصائب الآخرين . حتى قبل ان يذوق تعاسته الشخصية ، وحين تحمل الاحداث في دياره لا يجد في عزيمته القوة الضرورية ليدفع الاذى اسوة بالآخرين . فيعمل ويصخب ، وترتفع اصواته جياشة النبرات .

وانقطع حديث السيدة لحظة ، وتأوهت وتاهت نظراتها عبر الفضاء . حيث كانت طيور البحر تنعب وتبارى في سباق سريع ، ثم تحولت نحوى وتابعت حديثها : ان من يحترم في سواء الكرامة الانسانية ، يجب ان لا يتحدث عن شخصيته ، من حبل لنا الحق ، ومن منحنا العدل في ان نسمم حياة اخواننا من البشر بكشف جراحنا المؤلمة امامهم ؟ .

كان الانسان فيما انفرط من عقد الزمن ، اذا ما اصاب بجرح بليغ ، يعتصم بالصمت حفظاً على كرامته ، وضناً من ان يتعرض لشهامة الاعداء ، خوفاً من ان يقهقوا من آلامه المبرحة ، ويسخروا من عويله وصراخه . اما اليوم فاننا نصم ساثر اذان البشر بعويلنا وصراخنا لمجرد ألم طفيف يسببه لنا ضررنا . . .

ان نعمه الصمت تحملت عنا ، وان الاسباب التي نصيبنا من الألم ما ، لربي اشد من الاليم نفسه . غير ان المرء غالباً ما يفقر الحياة في سبيل الظماعة وافرطه في السكوى . وانا اضن بالرناء والسفقة على مثل هؤلاء البشر .

وتوقفت المرأة عن الكلام لحظة ، ثم عادت تتابع حديثها بصوت بدأ خافتاً ، ثم ما فتأ ان تدرج بالارتفاع ، فجاءت كلماتها الهادئة تعبر

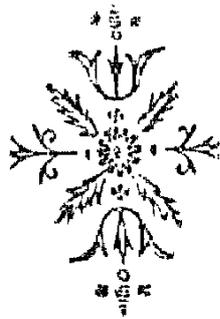
بوضوح فقالت : لكم اود ان ارى البشر اكثر نبلاً واحتفاظاً  
لكرامتهم ، واعتزازاً وافتخاراً لهاتين الصفتين ، فلو كنت ساحرة  
لوهبت كل مخلوق جديد ، ما بإمكانني اعطائه من نعمة الصمت .

وهبت المرأة واقفة . فترأت لي بوميض عينها اللامعتين ،  
وبقامتها الرشيقة ، وبثيابها السوداء القائمة ، اشبه بنسر طليق الجناحين  
يحلّق في فضاء الانهائية ، غير هباب باعاصير الفضاء .

وكانت الامواج اذ ذاك لا تزال تتلاطم تحت قدميها ، ولسا  
استقرت نظراتي على حياها ، وجدت تلك التسمات الشاحبة قد بدت  
هادئة مرتكنة ، وعيناها العميقتان تحدقان نحو مكان قصي ، وتراقصت  
لهداب عينها الطوال ، حين مدت يدها لتقول لي : وداعاً !..

فرددت تحيتها بسكون شامل ، وانسابت من قربي باتجاه الصخور  
المتآكلة الرمادية اللون ، وكانت تختفي عن ناظري ، ثم تعود للظهور  
الى ان حجبتها عني تماماً تلك الصخور الجامودية الصماء .

وبقيت زمناً احرق حيث يمت خطاها ببطء ، وكان بعتريني  
الجود والصمت ، واستيقظت من تأملاتي البعيدة ، على اصوات الامواج  
التي كانت لا تزال تتلاطم على تلك الصخور الراسية الجرداء ، وحين عدت  
ادراجي من حيث اتيت ، كانت النسائم تهب عليه ، والقمر يذثر انواره الفضية  
من أعلى قمم الجبال ، على صفحة الماء ، فتعكس على صفحة السماء الزرقاء .  
وتشمل الكون باشعتها ، وتغمر الارض بوحدة خرساء .



## وراء الخبر

عن مكسيم هوركي

غادرنا مدينة « بركوب » ونحن على أسوأ الأحوال ، غادرناها ونحن ناقون على العالم اجمع ، كمنقمة الذئاب الجائعة . فقد قضينا قبل تركنا اياها مدة اثني عشرة ساعة في بذل جهد ضائع ، محاولين سرقة شيء او كسب شيء ، غير مدخرين في هذا السبيل اية قوة ذهنية ، أو طاقة بدنية ، فلما ايقنا ان ليس لنا وسيلة للنجاح ، لا في السرقة ولا في الكسب الحلال ، عزمنا على ان نقادرها ، ولكننا لا نعرف اين ستحط بنا الرحال .

لا بد لنا ان نرحل ما دمنا استطعنا الحراك . ونحن على اتم الاستعداد لاستئناف نهج الحياة الذي سلكناه من قبل ، وهو ذلك الذي تم رأينا عليه في صحت ورضى ، وان لم نكن نعلمن هذا بجديتنا ولكن عيوننا كانت قد اعلنته جلياً لما كان يلتصع فيها من بريق الجوع الخفيف .

كنا ثلاثة حديثي العهد بالتحالف ، فقد جمعتنا مصادفة في بيت همومي « بمدينة خرسون » ، على شاطئ نهر « الدنيسبر » وكان احدنا من قبل جندياً في فرقة حرس السكة الحديدية ، ثم تزعم عصاة للسطو على هذه السكة في خط ( فيستولا ) وكان احمر الشعر

قوي العضل ، بارد النظرات ، اشهب العينين ، يتكلم الالمانية ، وهو واسع المعرفة بحياة السجون . ومن دأب امثالنا ان يكرهوا الحديث عن ماضيهم ، ولدينا معاذير للزوم الصمت ان تفاوتت بين بعضنا والبعض موجبة للزومه ، ومن اجل هذا اعتدنا ان نتظاهر بتصديق بعضنا . اما في قرارة نفوسنا فقد فقدنا حزية التصديق .

ولما قال لنا زميلنا الثاني ، وهو ضئيل الجسم هزيله ، دقيق الشفتين لا يكاد ينفرج فيه إلا عن ابتسامة شك ... لما قال لنا انه كان طالباً بجامعة موسكو اخذنا قوله ، انا والجندي ، كأنه قضية حقة ، وانه لا فرق عندنا ماضي اي واحد منا سواء أكان طالباً او جاسوساً او لصاً فكل الذي يعنيننا من امره ان يكون في حضره مساوياً لنا ، جائئاً مثلنا مستحقاً في المدن عناية الشرطة ، وفي القرى اهتمام المحتاير ومشايخ البلاد ، وان يكون كارهاً لهذين النوعين من الناس كراهية الوحش الجائع الضعيف .. وان يكون معتزماً الانتقام من العالم على وجهي التعميم والتخفيض ، وان تكون صفوة القول فيه انه فرع من شجرتنا . فكانه من سادة الناس مكاننا ، وتكوين عقله كشكون عقولنا .

وكنت أنا ثالث الثلاثة ، وان اقول كلمة عن صفاتي لأن السكوت عن ذلك يقتضيه تواضعي الموروث ، ولكيلا ابدو امامك ساذجاً غمراً ، فسألزم مثل هذا السكوت من نقائصي أيضاً . وعلى ان اظهرك على احدي ، خلالي ، ولعل معرفتها تغني عن البقية ، فقد ظلمت طول حياتي مؤمناً بأني أفضل من الآخرين ، واني لا ازال على هذه العقيدة الى اليوم .

هكذا كنا عندما غادرنا « بركوب » وقد اعتمدنا في اليوم الاول على من عسانا نلقاهم من الرعاة ، منهم أناس لا يردون في العادة

من بسألهم القوت . وقد سرت والجندي في المقدمة ، وتبعنا الطالب وكان على كتفيه ما يشبه السترة ، وليست بسترة ولكنها بقية ثوب ذي حاشية . وكانت رأسه حادة الزوايا عجيبة التكوين ، وقد لف ساقيه اللقيقتين بقماش يغطي رجلي سروال ضيق كثير الرقع المتعددة الالوان . وفي مكان الحزائين منه لفائف مربوطة بمخيوط ، وبقطع ممزقة من ثوبه وكأنه بهذه اللفائف يضع في رجله حذاءً طويلاً ، كأحذية الجنود . ولكنه كان يسمى الحذاء « صندلاً » كان يمشي في صمت مثيراً بقدميه غباراً ويطلق التحديق بعينيه الخضراوين الى الفضاء .

واما الجندي فكان مرتدياً قميصاً احمر اللون ، يزعم انه اقتناه حلالاً بكده في مدينة « فرسون » وفوق القميص عباءة ممزقة ، وهو حافي القدمين ، وعلى رأسه قبعة عسكرية عتيقة ، فقدت لونها ، ولكنه يرتديها على النظام العسكري ، فحافتها الامامية ملاصقة لحاجبيه وقد لف ساقيه بكباد القوزاق ، بلفافة من قماش غليظ ، اما قدماه فكانتا عاريتين .

اما انا فكانت افضل منها ثياباً ولكني حافي القدمين مثلها . وظالمنا نسير وحوالنا من كل الجهات فضاء ممتد في هذا السهل الفسيح الأجرد الذي يشبه صفحة عظيمة الاتساع خالياً ، الا في جوانب منه ففي هذا السهل بقاع متناثرة متباعدة فيها زرع شيطاني من الحنطة او الشمير نبت من فضلات ما يلقي في الطريق .

وكان منظر هذه البقع المزروعة شديدة الشبه بجندي صاحبي الجندي وذقنه غير الحليقة ، وكان صوته الأجش مثل رنين النحاس وهو بين حين وآخر يرفعه بالانشاد بانغام كنائسية . فقد كان في مدة خدمته العسكرية يشغل وظيفة المرتل في الجيش ، وقد استظهر بهذا السبب ما لا حصر له من الاغاني والانشيد الدينية ، وهكذا كان

في الفترات بين احاديثنا يبيء استعمال علمه بتلك الاناشيد فيدفع عقيدته بها .

وكان الافق صوب اعيننا ملوناً بلوان رقيقة ورديه مشوبة في بعض جهاتها بالاصفرار وفي البعض بالاحمرار ، وبعضها ناصع البياض . وقال الطالب وقد رأى شيئاً عن بعد قال بصوت جاف : لا بد ان تكون هكذا جبال القرم !

وهتف الجندي : القرم ؟ ليس الذي تراه يا صاحبي الاسحابات ، ما اشد شبهه باكلة من توت طبخت بالحليب .

وقد تمنيت لو كان السحاب اكلة ، واعربت عن هذه الامنية . فاثارت هذه الملاحظة ثائرة الجوع ، والجوع اذنة عهدنا الحاضر . واخذ الجندي يلعن ويسب ويدعو ان نلتقي بأحد فنشب فيه اظفارنا . وتعلق بعد ذلك اصابنا كما تفعل الوحوش بالخنايب في الشتاء وقال الطالب بلهجة المعلم الخبير : ألم اقل لكم انه كان الاولي بنا اختيار طريق مأهولة ! .

فجابه الجندي في غيظ : انت قلت لنا ! انك انت المعلم فينا ، فكان عليك ان تدلنا على الطريق المأهولة . بل تلك لا يعلم مكانها الا الشيطان .

وعاد الطالب الى نروم الصمت ، وضم شفثيه ، وكانت الشمس اثناء غروبها تلقي اواناً من الاشعة لا يمكن وصفها بالكلمات ، وفاحت الارض بروائح التربة والاملاح ، تلك الروائح التي تشحن شهوة الطعام ، وتحرك ساكن البطون ، وبدا لنا كأننا هذه الروائح بخار يتصاعد من عضلات اجسامنا التي تضمحل حيويتها بقدر ما تفقد من هذا البخار . واحسنا بجفاف في الخلق ، وشعرنا بدوار في رؤوسنا ، وظلمنا طيلة الوقت تخايل اعيننا بقع سوداء تظهر ثم تزول .

وكانت هذه البقع تبدو تارة في شكل قطع مشوية من اللحم ، وطوراً في شكل الارغفة . وصور لنا الخيال ذكريات الماضي بمختلف طعومه وشتى روائحه ، ثم شعرنا بمثل المدي تشق امعاءنا شقاً ، واخذ كل منا يصف لزميله احساسه ، ودار كل منا ببصره في كل اتجاه راجياً ان يرى قطعاً من الماشية ، او يسمع صوت عجلات تحمل عرباتها الفا كبة الى بعض الاسواق الارمنية .

لكن البراري كانت خالية خاوية صامتة .

وفي مساء ذلك اليوم العسير ، كنا قد تناولنا من الاكل ثلاثتنا ما يزن ثلاثة « كيلو غرامات » من خبز الشعير ، وثلاث بطيخات وقطعنا من الطريق نحو الاربعين فرسخاً . ولم يكن ثمت تناسب بين ما يتجدد من قوانا ، وبين ما يستهلك منا ، وكيف لا ، حتى ولو استطعنا النوم بسبب التعب لايقظنا الجوع .

وكان الطالب صادق النصح لما أشار علينا بعدم الاضطجاع طلباً للنوم ، بل كنا نحاوله ونحن جلوس في فترة الليل . واثن كان من دأب الراقين من الناس الا يتحدثوا علناً عما يرتكبون من سرقة متاع الغير ، فما يدفعني على النقيض منهم الى الحديث عن ذلك ، غير الرغبة في الصدق ، وايس لي هوى في الظهور بمظهر القسوة ، وانتهاك الحرمات ، وانا اعلم ان مرور الايام يزيد من رقة المشاعر وخاصة في مناطقنا التي تزداد فيها الثقافة حتى ان احدهم حين يخنق الآخر فما يضغظ على عنقه الا بغاية ما يستطيع من الرقة والاشفاق ، مع رعاية الاوضاع الملائمة لهذه الحالة . وان التجارب التي جربها حلقي في هذا الصدد ليقتنعي بأن العالم لا يزيد الا رقياً ورفاهية . ذلك الرقي ، وتلك الرفاهية ، اللذين لا يدل عليها شيء كما تدل الزيادة المطردة في عدد السجون والمواخير .

وهكذا بين احساس بجوع نخفيه ، ووقت في حديث ودي نبهده  
جاوانا تخفيف ما تمنيه امماؤنا من الالم بالسير في البراري الصامتة  
الجرداء ، تحت اشعة الشمس الغارية ، على أمل ان نجد طعاماً نأكله  
وكان قرص الشمس مختفياً خلف غمام رقيق يتخلله انبثاق من أشعة  
غنية بالالوان ، ومن حولنا قمام ازرق رقيق يتزايد متصاعداً من  
الارض الى السماء .

وقال الجندي : علينا ان نجتمع الآن ما يصلح للوقود ، خشباً  
كان أو حطباً أو ورقاً جافاً .

وبدأ يجمع ذلك مما حوله . وتفرقنا نحذو حذوه ونحن مدركون  
ان ندى الليل يضطربنا لذلك ، وبرودة الجو تحتاج الى المزيد  
من النيران .

وكان شمور كل منا وهو يخني ، ليلتقط ما يجده من ذلك ،  
هو بشعور الرغبة بالالتصاق بالارض ، وتناول القوت من ثراها الاسود  
وإراحة اجسامنا المكدودة بالنوم العميق . بالنوم وليكن ذلك النوم  
ابدياً على ان نستمتع قبله بالاكل وبالضغ ، وباستشعار الدفء ، وبان  
ترطب حلوقنا الجافة بامتصاص اي شيء وقال الجندي متنهداً : من لنا  
بأي نوع رطب من العشب نمتصه .

لكن هذه التربة السوداء لم يكن بها من العشب شيء اصلاً ،  
وسرعان ما خيم الليل والقت الشمس آخر اشعتها كما يلفظ الميث آخر  
انفاسه ، ثم بدأت النجوم تظهر واحدة اثر واحدة ، وصاح بنا الطالب :  
انظروا ايها الرفيقان ! ها هنا رجل نائم .

وقال الجندي بلهجة الشك : رجل نائم ؟ وماذا ينام هنا ؟

واجاب الطالب : اذهب وسله . لا بد ان يكون لديه الخبر .

ونظر الجندي في الاتجاه الذي اشار اليه الطالب وسار نحوه ،

فتبعناه . وكان الطالب اقوانا بصرأ ، فهو الذي ادرك المنظر على حقيقته ، اما الجندي وأنا فبدا لنا جسم غير واضح التكوين في غبش الليل على مسافة مئات من الامتار ، فلما زدنا دنواً منه ، وادرك اننا نسير في اتجاهه ، تحرك . ورأناه جسماً حياً ، وجثا على ركبتيه ومد نحونا ذراعيه وصوب نحونا مسدساً ، وهو يصيح : قفوا وإلا اظلقت عليكم النار ! ..

ووقفنا بضع دقائق ، وبدأ الجندي بسب ويلعن ، بينما لزم الرجل الصمت .

ثم صاح الجندي ، اننا لا نود بك سوءاً « غير اننا جوع ولديك خبز ، فاؤذف الينا ببعض ما عندك ، فنحن اخوانك ، ثم اذهب انت الى لعنة الله .

لم يجر الرجل جواباً . وتابع الجندي حديثه ، وكان يرتعش من الغضب واليأس : الا تسمع ؟ ارم الينا بالخبز . فاجاب الرجل : لا بأس .

واقدر كان في وسمه ان يقول يا اخواني الاعزاء ، ايكون جوابه معبرا على انسانيته ، وأدعى الى ان يثير فينا رقيق المشاعر ، وقدسية الاحساسات ، ولكنه لم يشأ الا ان يقول لا بأس .

وقال الجندي بصوت رقيق ، وعلى فمه ابتسامه عذبة ، لم يبادل الرجل بملها . وكنا قد امسينا منه على بعد عشرين خطوة : لا نخش ، فنحن رجال مسلمون ايها الانسان الطيب ، ولا نملك مالا ، وطريقنا طويل ، من روسيا الى كوربان ، وقد نفذ زادنا ، وهذا ثاني يوم قضينا دون طعام .

وصاح الرجل : خذوا . واقفى الينا في الهواء باشياء ولما تناولناها وجدناها خبزاً جافاً اسود ملوثاً بالطين ، واسرع الطالب الى التقاطها .

وأعاد الرجل قوله : خذوا أيضاً ! . . وظل يلقي ، والطالب يلتقط ، حتى أصبح عندنا ما يزيد على عشرة كيلو غرامات .

وجلس الجندي يقسم الخبز بيننا ، فقالت : هذه اقسام غير متساوية ، فأعط الطالب قطعة من نصيبك . وأخذت قطعة واكتمها في فمي ببطء ، وبمثل حالة المتشنج ، ثم رحلت تناول قطعة بعد آخر من هذا الخبز الكويه الطعم ، وأنا أعجب كيف يتحول هذا الغذاء الى دم وإلى خواطر ، وافراح واحزان ، وكيف يدفع المعدة ، ويفسدي الجسم ، وتواري عن خاطري في ولحمة اللحظة ، ايام جوعي ، ونسيت كذلك زميلي " ، ولكن ، حين وضعت في فمي آخر لقمة من نصيبي شعرت برغبة عنيفة لاستئناف الاكل .

وقال الجندي : لا بد يكون مع هذا الملعون شيء من اللحم أو شيء من الدهن .

وقال الطالب : اني اشتم رائحة اللحم معه ، ولو لم يكن لي شيء من ذلك ، لما حمل المسدس ، انه مثلنا من طائفة الاسماعيلية .

وبقينا نحدد النظر نحو صاحب المسدس ، ونحن نستمع لتصعيد انفاسه ، وننظر احياناً الى النجوم الملتصعة في كبد السماء ، ونستمع بتأنقها واشراقها ، فيزداد احساسنا بالجوع ، وقلت : ينبغي اننا ان تقتل هذا الرجل الذي احسن الينا ، ولكن يجب ان نأكل كل ما معه من الطعام ، حتى ولو اطلق علينا النار . . ومع ذلك فلان طلقة المسدس ان تصيب الا واحداً منا ، واذا اصابت فانها ان تقتل .

ووثب الجندي ، وهو يدعونا لنتتبع اثره . فسار وراءه الطالب وتبعته انا . وعلى حين فجأة رأينا وميضاً من النور ، وسمعنا طلقة مسدس .

وصاح الجندي فرحاً : لقد اخطأنا .

وهجيم هو والطالب ، وهما يتوعدان صاحب المسدس ، وكأنت مفاجأة ، حين وجدناه وقد اطلق النار على نفسه ، وارتمى على ظهره .  
وقال الطالب : هنا لحم وكعك وخبز ايها الرفاق !

وقال الجندي وهو يستخلص المسدس من يد الرجل الغريب :  
اذهب الى الشيطان ! واجلسا تأكل معاً ايها الرفيقان .

وجلسنا نستأنف الاكل ، وبجانبنا جثة الرجل لا تتحرك ، فلم نأبه لها ، ثم سمعنا صوتاً أجش مضطرباً يقول : أكل هذا من اجل الخبز يا اخواني ؟

فدهشنا ، وتنحنح الطالب ، وقال الجندي : لقد رميت لنا ايها الكلب بخبز جاف ، واطلقت الرصاص ، فمن اي شيء كنت تخاف ، أليس على الخبز ؟.. هل كنت تظن اننا نريد ان نأكلك انت ؟..

قال ذلك وهو يمضغ ثم تابع : بعد ان تنتهي من الطعام سنسوي حسابنا معك .

والكن الرجل الجريح اخذ يبكي ويتهد ، فجزعنا لصوته في ظلام الليل ، وقال بصوت متقطع النبرات : ايها الاخوان ! .. ليتني كنت اعلم اني ... انما اطلقت النار على نفسي من شدة خوفي ، وكنت مسافراً من مدينة « طوس » الجديدة الى مدينة « سمواترج » فاصبت بالحصى في اثناء الطريق ، ولي زوجة وبناتان ، لم اراهن منذ ثلاثة اعوام أو اربعة .. كلوا ايها الاخوان !.. كلوا كل شيء !..

وقال الطالب : سنأكل كل شيء ، فلا تخف ، هل كنت تظن اننا بحاجة الى استئذانك ؟

فاجاب الرجل : يا إلهي !.. ليتني كنت اعلم انكم مسالمون ! .. اصفحوا عني .

وكان حديثه مزيجاً بين البكاء والكلام ، وهو يرتعش .

وقال الطالب : لا بد ان يكون لديه مال . ثم ابتسم .

وقال الجندي : لنوقد النار ، ولنم !.

قال الطالب : وهو ؟..

فاجاب الجندي : الى الجحيم ! هل في وسعنا ان نشويه ؟..

فقال الطالب : هذا هو الواجب .

وجمعنا الوقود ، واشعلناها ، وتعددتنا حولها .

وقال الجريح ، وهو على بُعد خطوات منا : هل تسمحون ايها الاخوان ، ان انضم اليكم لآكون على مقربة من النار ؟.. فاني اشعر بالبرد يسري في عظامي .. يرد الموت ! يا الله !.. لن ارى منزلي بعد الآن مرة اخرى ؟.

قال الجندي اقرب .

وقال الطالب : ازحف نحونا .

وزحف الرجل زحفاً وكان يجرب اعضاء . وتبيناه ، فوجدنا نشد حالات الام مرتسمة على عينيه ، وعلى وجهه الشاحب ، وجسمه الملتصق بالتراب ، وقد استوت عليه رعشة ، أثارت فينا العطف والاشفاق .

وقال الجندي : لماذا سلكت هذا الطريق ؟..

فاجاب : لقد نصحتوني بان لا اتخذ طريق الماء ، وها انا يسا اخواني سأموت في البراري ، وستأكل الطيور جسدي ، وان تراني زوجتي ولا بناتي يا إلهي ؟..

وكان صوته كصوت الذئب الجريح . وقال الجندي : ولماذا تبكي هذا البكاء ؟ أليس في وسعك ان تموت في اطمئنان ؟.. من الذي يريدك ؟.. دع البكاء واخرس .

وقال الطالب : اضربه على ام رأسه ، ودعنا ننام قبل ان

محمد النار ..

وقال الجندي : هل سمعت ؟.. هل تظننا آسفين عليك ، لانتك  
القيت الينا بالخبز الجاف ، ووراءه طلقة مسدس ..؟ انت شرير .  
وتام الطالب او تظاهر بالنوم ، ولزمت انا الصمت ، واخذ  
الجندي يحدق في نجوم السماء ويقول : يا لها من ايلة ؟.. ما اكثر  
النجوم وما اروعها ..؟ وما اجمل السماء لحفا للنائمين في العراء ! ..  
انتي احب هذه الحياة ايها الصديق ، احبها رغم ما بها من السبرد  
والجوع ، لأن فيها الحرية ، ليس لنا من سيد هنا ، اني انظر الى  
السماء الساطعه ، فاخال ان النجوم تقو لي : استمر ايها الرجل ،  
ولا تيأس . فانصاع الى نصيحتها واشعر بالسعادة .

وانت ايها الجريح لا تفضب علينا ، فقد كان لديك خبز ، وكان  
في وسعك ان تنجو وتفجينا ، ولكنك شرس ترمي الناس بالرصاص .  
الا تدرك ان الرصاص يؤذي ؟ لقد كنت منذ قليل اريد تهشيم رأسك  
جزاء وقاحتك ، وانت تملك مالاً ، فكان في وسعك ان تشتري في  
الصباح خبزاً من مدينة بر كوب .

وظل صوت نحاسي ، صوت الجندي يجلجل فترة ، وظل اذنين  
الجريح ، يجرح اذني فترة اخرى كذلك ثم ادركني النعاس فسمت .

\*\*\*

استيقظت على صوت الجندي ، وهو يدعوني الى اليقظة ، ويشد  
ذراعي . وفتحت عيني فرجعت نور الشمس قد ملأ الافق ، ووجدت  
جريح الامس قليلاً ، انفتح فيه ، وجمدت عيناه ، وارسم عليها الفزع  
وووجدت ثوبه محترقاً ، ولم اجد للطالب ادنى اثر .

وقال الجندي : ألم تر ما فيه الكفاية ؟..

سألت : هل مات ؟..

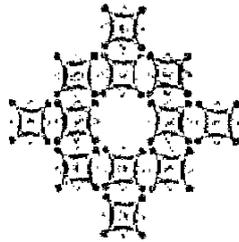
فقال الجندي : نعم خنقه الطالب ونحن نأتمن وهرب ، لقد  
سرق ما معه من المال وتركنا ، ونحن رفيقاه ، فهل ترى افضل من  
هذا ؟ .. ولكن علينا ان لا يرانا احد في هذه البراري ، لأن فيها  
قتيلا ، ولأن لدينا مسدساً ، فأين نقضي الليلة الآتية ؟  
فقلت : ارم المسدس .

فقال : كيف وثمنه لا يقل عن ثلاثة ريالات ، ومع ذلك فقد  
استعمل هذا المسدس ، إن به طلقة واحدة ، فمن لي بان ارى وجه  
زميلنا الطالب الذي استولى على المال وهرب .  
قلت : وقد حرّم منه زوجته وبنتيه .

فقال الجندي : مالنا ولهن ، انهن سيتزوجن ! ..  
ومشيت مع الجندي ، ولا يشغل بال احدنا غير التفكير في  
الطالب ، وكانت الشمس تزداد تألقاً في السماء وارتفاعاً ، ويقل في  
نورها سواد الاجرام ، ان الجرائم السود قلما ترتكب تحت النور .

وقال صاحبي وهو يشعل لفافة من التبغ : اربد يا صاحبي ان  
أكل ، واستطيع ان اتهم اي شيء ، ولكن ماذا فأكل واين ؟ ..  
وظللت امشي مع الجندي الى مقاطعة فارس ، وقد علمني هذا الحسافي  
القدمين المحروب المتشرد كيف احترامه ، ثم لم اعد اراه .

وكان آخر ما دار بيننا من الحديث ، قوله عن صريع البراري :  
- لا انا الملووم ، ولا انت الملووم ايضاً على قتله ؟ كلا ! ولا  
احد في الدنيا يلام ، فنحن جميعاً وحوش نجري وراء الحب والخبز .



## هذا هو الحب

عن الكسندر بوشكين

كان الجفاء على أشده بين « ايفان بتروفتش برستوف » وجاره « جريجوري ايفانوفتش مورسكي » عندما جاء الكسيس وحيد الاول « برستوف » الى مزارع والده بعد ان اتم دراسته في الجامعة ، وكان يرغب الالتحاق بالجيش ، لكن والده ابي الا ان يدخل الخدمة المدنية بالحكومة .

وكان لـ جريجوري ابنة جميلة في السابعة عشرة من عمرها تدعى « ليزا » وقف نفسه على العناية بتربيتها وتعليمها بعد ان توفيت امها ، وجاء اليها بمرينة انكليزية .

ولما كان الكسيس شاباً جميل الطلعة بارعاً في الصيد فقد فتنت به فتيات القرية ، ولكن اشدهن اهتماماً بامرءه ، وتذم اخباره هي ليزا ابنة جريجوري مورسكي ، التي لم تره ، وانما سمعت عنه ما شوقها الى رؤيته ...

\*\*\*

جلست « ناسيتا » وصيفة ليزا وكانت اشد شقاوة من سيدتها ، وراحت تحدثها عن الكسيس وما رأته منه في الحفلة التي اقامها بيت آل برستوف لمناسبة الاحتفال بمولد قديس طبائختهم ، وقد اخبرتها

انه اجمل مما ذاع عنه ، وانه لطيف متواضع داعب المدعوات جميعهن حتى قبلهن واحدة فواحدة خلال اللهو معهن . لكن له عيباً وحيداً وهو انه يسمى وراء الفتيات اللواتي اقل منه شأناً .

وعندئذ قالت ايزا : ما اشد ما اتوق الى رؤيته !..

فقالت لها ناسيتا : ولم لا ؟ ان « تونجولوفو » ليست بعيدة عنا وهو يخرج للصيد في صباح كل يوم ، فلو انك مشيت او ركبت متجهة الى نفس وجهته لتلاقيت به في الطريق .

- قد يظن انني اسمى وراه .. كلا يا ناسيتا ان لي خطة اخرى سأرتدي ثياب ابنة فلاحة ، واصادفه على هذا الشكل .

وفي صباح الغد بكرت ايزا بالخروج ، وقد اوصت وصيقتها بان تقول لأبيها وصريتها انها خرجت بقصد الرياضة ، ولاستئاف نسيم الصباح . وحرصت على ان لا يراها احد بالمنزل وهي مرتدة ثياب فلاحة .

وعمت خطواتها نحو الغابة ، وكان قلبها شديد الخفقان الى ان وصلت الى درب غير معبدة تظللها الاشجار من كلا جانبيها ، واذ يكب صيد يفاجئها بنباحه ، فذعرت وصاحت برعب ، وفي الحال سمعت صوت شاب ينهر كلبه قائلاً : تعال هنا يا « شوجار » !..

ثم ظهر شاب وسيم الطلعة ، جميل الحيا من بين الاشجار وقال لها : لا تخافي يا عزيزتي ، ان كلبى لا يعض احداً .

وقد نسيت ايزا مخاوفها لحظة حين رأت الشاب ، ولكنها عادت تمثل دور المدعورة ، وعرض عليها ان يصحبها الى منزلها ، فابت واخبرته انها ابنة فاسيلي الحداد وقد جاءت الغابة لتجمع عش الغراب . وسألته من يكون ، فأخبرها انه خادم السيد الشاب الكسيس ..

فابتسمت وهزت رأسها منكرة وقالت :

- ان هذه الكذبة الصغيرة لا تسرى عليّ ، انك لست خادم السيد الصغير ، وانكك السيد الصغير نفسه .
- وما الذي يدعك تجزمين هكذا ؟..
- = هناك دواعٍ كثيرة .
- = ولكن ...
- اي انسان يمكنه ان يميز بينك وبين خادم .
- فمثلاً هيا بك ولهجتك ... حتى كلبك نفسه يحمل اسماً اجنبياً .
- وقد ارتاح الكسيس الى ليزا ، وأعجب بها واراد ان يخطف منها قبلة ، فتراجعت الى الوراء وقالت له :
- لا ينبغي ان تنسى آدابك معي .
- ومن الذي علمك هذه الآداب ؟. هل هي صديقتي ناسيتا ، وصيفة سيدتك ؟ ان المدينة تنتشر بسرعة في هذه الارحاء .
- أتظن اني لم اذهب قط الى دار المختار ؟ لقد رأيت وسمعت اكثر مما تظن . والآن دعني اذهب في طريقتي ، واتسرا انت في طريقك .
- فأمسك بيدها وقال : ما اسمك يا عزيزتي ؟..
- « اكولين » وقد حان الوقت لأن اجمع عش الغراب ، واعدود الى ابي .
- حسناً . اني سأزور والدك فاسيلي الحداد .
- أتوسل اليك ان لا تفعل . ان ابي إذا علم اني كنت احدث سيداً غنياً مثلك ، وانتي كنت وحدتي معه في الغابة ، فلا سعد ان يضربني حتى الموت .
- ولكن لا بد ان ارالك .
- اني آتي الى هنا احياناً لكي اجمع عش الغراب .
- متى ؟..

- غداً اذا شئت .

- غداً في هذا المكان ، وفي هذه الساعة . اريد منك قبها  
أعتمد عليه .

- أقسم لك بيوم الاحد المقدس .

وعادت ايزا الى بيتها فبدت ملابسها بسرعة ، قد امتدحها ابوها  
ومربيتهما على خروجها مبكرة الرياضة ، لان الفتيات الانجليزيات يفعلن ذلك  
وقد ندمت ايزا على تحديد موعد لالكسيس ، ولكنها خشيت ان  
هي لم تف بالوعد ان يذهب الى الحداد فاسيلي ، وكان لهذا ابنة تدعى  
اكو اين دميمة المنظر ، فيتضح له حقيقة حالها .

ولذا قابلته في اليوم التالي . ثم في الذي تلاه ، وبعده تكرر  
بينها اللقاء ، ونشأت في قلبها المحبة .

ومن المسير ان اقص هنا تفاصيل لقاءها في الاسابيع التالية  
المملوءة بالحب والهجة . حتى اذا انقضى شهران على ذلك ، كان كل  
منها مغرمًا بالآخر ، غراماً ملك عليه رشده . ولا شك ان الكسيس  
قد مرت بمخيلته فكرة الزواج ، ولكنه كان يقاومها للفصل الشاسع  
بين طبقتها الاجتماعية التي تفصل بينه وبين ابنة فلاح بسيط .

ولما راعه جيلها اخذ يعلمها اصول القراءة والكتابة . وقد اعجب  
بتقدمها السريع فيها ، فلم يمض اسبوعان حتى استطاعت ان تكتب  
الكلمات ، ومن ثم بدأت المكتابة فيما بينها في الايام التي يلتقيان فيها ،  
وقد اتخذوا من جذع شجرة معينة صندوقاً للمراسل ، واتخذت ايزا  
من ناسيتا ساعية للبريد .

\* \* \*

في صباح يوم صحو خرج « ايفان بتروفتش برستوف » راكباً  
جواده ، وبرفقته حارس الصيد ، يتبعها ستة من الكلاب وفي الوقت

نفسه اغرى ذلك الجو « جريجوري ايفانوفتش مورمسيكي » بالخروج للصيد أيضاً ، واتفق انها التقيا في الطريق وجهاً لوجه ، فلم يسع مورمسيكي الا ان يحكي ايفان رغم الجفاء الذي بينهما ، فرد برستوف التحية بأحسن منها . وكان مورمسيكي يعد نفسه ماهراً في ركوب الخيل ، فترك لجواده العنان ، واذا به يوقعه في بركة على مرأى من برستوف ... فاسرع هذا واعانه على النهوض واخذه الى بيته لأنه اقرب كثيراً من منزل مورمسيكي ، وهناك اكرمه وجاءه بملابس بدل ملابسه المبللة ، وقد زالت المداوة فيما بينهما في مثل لمح البصر ، وفهم كل منهما الآخر فأصبحا صديقين حميمين من تلك الساعة . ثم اوصله برستوف بمرتبته الى منزله . ولم يتركه مورمسيكي الا بعد ان وعده بان يأتي مع ولده الكسيس للغداء عنده في مساء الغد .

ولما دخل مورمسيكي الى بيته ، رآته ليزا يمرج فسألته عن السبب ، وقص عليها ما حدث ، فدهشت ثم زادت دهشتها حين اخبرها والدها ان برستوف وولده الكسيس قادمان لتناول طعام العشاء في مساء الغد . فاندرت ابها اولاً بانها لن تظهر في المأدبة . ولكنها عادت فرضيت ان تحضر واشترطت على والدها ان لا يبدي دهشة مما يظهر من غرابة احوالها .

وبينما برستوف وولده الكسيس ومورمسيكي جالسون الى المائدة اذ دخلت ليزا وقد وضعت على وجهها طبقة كثيفة من مسحوق « البودرة » . ولبست ثوباً كالذي كان يلبس في عصر « مدام دي بومبادور » ، ونظمت شعرها بشكل يبعث على الضحك . وقد دهش والدها مورمسيكي لمظهرها وكرم الضحك بصعوبة . ولكنه تذكر وعده لها فسكت .

اما برستوف وولده الكسيس فقد حيياها باحترام ، ولم يلتفت

الشباب اليها ، بل مكث طوال الوقت وهو لاه عنها مشغول بأفكاره .  
وقد سرت ليزا لنجاح خطتها ، حتى ان الكسيس لم يعرفها ،  
ولم يدرك انها هي « اكوينا » المزعومة .. ولا قابنته في الغد وهي على  
شكل الابنة الفلاحة قالت له بجنث :

- سمعت انك تناولت امس طعام العشاء في منزل آل مورمسي  
ها رأيك في سيدتنا الصغيرة ؟..  
- لم اعرفها التفاتة البتة .

- لقد كنت اود ان اعرف مدى ما يقوله الناس من اني قريبة  
الشبه لها كثيراً .

- هذا هراء ، ولا وجه للمقارنة فيما بينكما .

- ولكن الجميع يعرفون ان سيدتنا الصغيرة ايمت بارعة الجمال  
فقط ، بل انها سيدة الازياء ايضاً .

- لكنني اؤكد لك يا اكوينا انك ابداع نساء العالم طراً .

وقد تكررت الزيارات بين برستوف ومورمسي ، وزال كل اثر  
للجفاء السابق الذي كان فيما بينهما وحل مكانه ود وطيب . وكان  
مورمسي يعلم ان برستوف اغنى اغنياء القرية ، فتعنى لو يزوج ابنته  
ليزا من ولده الكسيس . وفي الوقت نفسه كان برستوف يتنى ان  
يزوج ولده الكسيس من ابنة صديقه الحسنة المصرية . وخرج الاثنان  
من دور التفكير الى دور المصارحة ، فانفقا على هذا الامر ، وقد  
توقعا ان يتفنى الشاب والفتاة بسهولة . كما اقترح مورمسي على صديقه  
ان يكثر التردد على منزله برفقة ولده فلا تثبت الحبة ان تندام نارها  
في قلبي ولديها .

ولكن الكسيس كان دائماً يعتذر باعذار واهية عن تلك الزيارات  
حتى ضاق ابوه به ذرعاً . ففأثخه ذات مساء في انه يرغب ان يزوجه

من ايذا مورمسيكي . ولما اجابه الكسيس بانه لا يشعر بميل الى تلك الفتاة ، وليس بإمكانه اسعادها ، هددته والده بجرمانه من الميراث اذا لم ينفذ له رغبته .

وكان الكسيس يعرف صرامة ابيه ، وصدق عزمه ، فقضى تلك الليلة قلقاً ساهداً يفكر في عزمه على الاقتران بأكوليننا ، وقرر ان يعمل ويكسب رزقه بعرق جبينه ، غير عابىء بجرمان ابيه له من حقه في الميراث .

ولم يكن قد قابل اكوليننا منذ عدة ايام نظراً لتغيير الجو وبرودته . فكتب اليها خطاباً يخبرها فيه بتهديد والده له ، ويصارحها بعزمه ورغبته على الاقتران بها رغم شدة الممانعة ، وعلى ان يكسب رزقه من عمله ولو كلفه هذا العمل الجهد والعناء ، ويطلب منها ان تحييه بالموافقة .

وترك هذا الخطاب في جذع الشجرة كالمعتاد .

وفي صباح اليوم التالي رأى ان يزور مورمسيكي بنفسه ليصارح به بانه لا يمكنه ان يتزوج بابنته ، وقد أمّتل من هذه الصراحة ، ان تؤثر فيه ، وتهز وتر الشهامة في نفسه فيحول دون الزواج .

وقفز عن جواده حيث وصل منزل مورمسيكي ، واسلم قياد الجواد للسائس ، ودخل البيت وهو يحدث نفسه ، يجب ان يبت في هذا الامر حالاً .

غير ان مورمسيكي كان متخلفاً عن منزله في تلك الساعة ، فلم يثنه ذلك عن عزمه ، وعبر فجأة الى غرفة الانتظار ، وهو عازم على ان يصارح ابنة مورمسيكي بانه لا يشعر بحبها ، وانه لا يستطيع الاقتران بها . ولكنه ما كاد يلبح الغرفة ، ويرى الجالسة امامه ، حتى اذهلته المفاجأة ، وكذب عينيه فيما يرى ، فقد شاهد اكوليننا جالسة الى

تافذة الغرفة وهي تطالع رسالته الاخيرة ، وقد شغلت بالقراءة عنه ، فلم تشعر بقدومه ، ولما تنهت له ، حاولت الفرار من الغرفة خوفاً من افتضاح امرها ، ولكن الكسيس هرول وراءها بخطوات مسرعة وصاح بها منادياً :

- اكوлина!.. اكوлина!..

فاستدارت نحوه واجابته بلهجة رزينة :

- اليك عني يا سيدي ، هل جئت ؟..

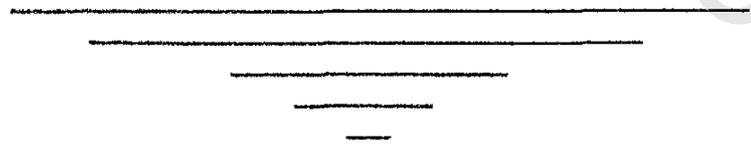
ودون ان يجيب على كلامها ، تقدم نحوها ، وبسرعة ضمها الى صدره ، يشبعها لثماً وتقبيلاً .

وبينما هما مستغرقان بنشوة العناق والهوى دخل مورمски فجأة فلما وقع نظره عليها صاح مبهتجاً :

- هذا هو الحب!.. يبدو لي انكما قد درتما امركما فيما بينكما!..

واجاب الكسيس : لقد كنا على غرام دفين ، ووافق متين .

فتمتم الاب وهو يدير رأسه عنها : لقد تكلمت مساعينا بالخير ، ولم يعد امر زواجها بحاجة الى ايضاح جديد .



## الامال

عن الكسندر بوشكين

في الليلة الثالثة من ليالي عطلة عيد الميلاد ، اجتمع بعض الضيوف في منزل « را كيتين » كاتب البريد الاعزب ، القاطن في مدينة كرازيليفو .

وكانت المائدة التي جلسوا حولها قد وضعت في احدى الغرفتين اللتين يتكون منها المسكن ، تلك الغرفة التي اطلق عليها صاحبها اسماً ضخماً هو بهو قاعة الاستقبال ، تمييزاً لها عن الغرفة الثانية التي اعدتها للنوم .

وكان يجلس في مكان الشرف من المائدة مدير مكتب البريد المسمى « شميدت » وهو رجل شاحب اللون منتفخ الجسد كأنه برميد ممتلئ بالماء .

ومن على يمينه جلس الاب « ديكون فاسيلي » بينما جلس على يساره مضيف الليلة ، وهو رجل قصير القامة ، مليء بالحوية والعزم له وجه شاحب ، وقد مشح بياض عينيه بالاصفرار .

اما بقية الاماكن فقد شغلها مساعد مفتش البوليس وبافلوف ، وهو ضابط قوزاقي احيل على المعاش ، يمتاز بروح مرحة ، وشخص آخر ذو شعر اسود طويل على غرار القديسين ، واخيراً وفي نهاية

المائدة الكبيرة كان يجلس « آغي فوميتش » وهو موظف ثنوي في مصلحة البريد ، وكان لا يشغل في المجتمعات الا آخر مساعد وذلك لكثرة جبنه وتردده .

وكان آغي فوميتش هذا يتجاشى زيارة الناس ويهرب منها ، لأن معناها هو دعوة الناس فيما بعد لزيارة منزله .

كان موظفاً في المكتب لاضطراره الى القيام بتكاليف كسوة واعالة زوجة وحماة مسنة وخمسة اطفال ، وكان مرتبه البالغ حوالي اثني عشر روبلا لا يكفي كل هذه المطالب .

كان يجلس في نهاية المائدة شارد اللب ، مشتت الفكر مضطرباً وكان يبدو اكثر شحوباً عن ذي قبل ، وكان قلبه قد غاس في جوفه جبناً وخجلاً .. وكان يفرك كتفيه بين الفينة والفينة في عصبية زائدة منتظراً اللحظة المناسبة ليتفوه بكلمة ...

وكان يرفض دائماً كل ما يقدمه اليه المضيف مدفوعاً بشعور الخوف الذي لا يستولي الا على أمثاله من المنكوبين ، كان يخشى ان يكلف مضيفه فوق ما يطيق .

واكل المدعوون وشربوا بعد ان قضوا فترة من الزمن في مناقشة سقيمة لا حياة فيها ولا معنى لما حول احد ملاك الاراضي وحول رئيس مصلحة البريد وحول القسيس المحلي ، واخيراً حول موسم الحصاد القادم .

وخيل لآغي فوميتش هذه ثلاث مرات ان الفرصة المناسبة قد حانت ... الفرصة المناسبة لكي يعيل على مساعد مفتش البوايس ، ويطلب منه قرضاً متواضعاً ، وشيئاً فشيئاً انتقل الحديث الى موضوع صعوبة العيش في هذه الايام .. وجعل هذا الموضوع للحديث صفة عامة إذ انه موضوع يهم الجميع ... واجمع الحاضرون على انه : مها

قيل فان أهم شيء في الحياة هو المال ، والمال وحده .

وقال شعيت في صوت لاهث : كدت اصبح ذات مرة من الاثرياء حين لعبت في حفلة زواج السيد بروشنكي .

واخذ يروي قصة مؤداها انه اخيراً خسر باللعب كل ما ربحه .  
وصعد الأب ليكون آهة وهو يقول : هناك قوم حسنتو الحظ بالنسبة لاوراق « اليانصيب » .

وكان الجميع يعلمون انه يملك تذكرة من تذاكر «الدين الدولي» . وتهد مرة اخري ، وهو يتابع حديثه قائلاً : لقد قرأت اخيراً ان مرايياً من المرابين ربح جائزة المائتي الف روبل ، ياله من مبلغ هائل !  
ويا لها من ثروة طائلة ، بالنسبة لرجل فقير ، ولكنها كانت من حظ رجل موفور الغنى ، يلعب بالمال لعباً ، ولله في خلقه شئون .

وانتقل الحديث بعد ذلك الى مختلف القصص المشهورة والمعروفة عن الاثرياء ، تلك الاحاديث والقصص التي تشبه نصفي حبة الفول .  
كيف جاء روتشيلد الى باريس سيراً على الاقدام ، وكيف كان يبيع عيدان الثقاب في الشوارع . ثم اصبح بعد ذلك ثرياً مليونيراً . . .

وكيف ينتقل بعض الناس من الفقر المدقع ، الى الغنى المفاجي نتيجة العثور على كنوز تحت الارض ، او نتيجة الربح في اللعب ، او نتيجة ميراث اعمام ، من اصحاب الملايين الذين يعيشون في اميركا .

ولو ان آغي فومتش لم يشترك في الحديث ، ولم يردد حرفاً واحداً فانه كان يستمع اليه بكلية ، وبكل جراحة من جوارحه .

لقد كان آغي على الرغم من شحوب لونه ، رجلاً ذا خيال خصب نشيط سريع الحركة . . وكانت اقصيص الديون والثروات المفاجئة وهؤلاء القوم الغربي الاطوار والاحوال الذين يلقبون باصحاب الملايين . . كانت تلك الاقصيص تهز كيانه هزاً عنيفاً وتدهشه اعباً

دهش وخصوصاً في تلك الساعة التي اذلتها فيها الحاجة . الحاجة الى عدة روبلات . وفجأة وجد آغي فومتش نفسه ينفجر قائلاً :

وهناك بعض الناس يجدون النقود في الشوارع !!

فتحول نحوه الجميع بنظرات دهش واستغراب ، اذ انهم فوجئوا بكلامه للمرة الاولى ، وظل على صمته الى ان اتحف الجالسين به هذه الجملة ، ولكنه ما كاد يرى النظرات ترمقه ، والعيون تتأمله حتى انطوى على نفسه خجلاً ، وظهرت على عيانه علائم الاضطراب الشديد واخفى نظراته متأملاً في غطاء المائدة .

وقال مساعد مفتش البوليس معلقاً على كلام آغي في لهجة تنم عن سخريته : دون ريب ، ان بعض الناس يجدون النقود في الشوارع ولكن من جيوب الآخرين .

وضحك الجميع ، ولم يكن ضحكهم نتيجة فكاهة اتخفهم بها مساعد مفتش البوليس ، بل نتيجة ما بدا من منظر آغي فومتش الذي جلس مأخوذاً ، مضطرب الانفاس ، وقد كست امارات الرعب وجهه .

ولكن الحديث انتقل الى مكان آخر ، والى افق آخر .. انتقل الى ذكر حوادث السرقات المشهورة ، وقضايا السلب والنهب العنيفة التي لم يوفق البوليس من اكتشاف مرتكبها بعد .

ومرت لحظة بدت امام عيني آغي فومتش مناظر عشرات ومئات الالوف من الروبلات ، وحزمت ضخمة من اوراق النقد المكدسة ، وخيل اليه انه يقرأ في الفضاء اسماء شخصيات من كبار الاثرياء الذين لا يعرفون عدد ما يتلكون من الاموال ، وبسبب ذلك هو ضخامة العدد الذي لا يحصى .

وراح يصيح السمع الى الحديث الدائر بين الجميع ، بشعور الرجل

الجانح امام مآدبة زاخرة باشبهى الوان الطعام .

ودقت الساعة القديمة في الحجرة تعلن الواحدة ، وتلبه المدعوين ان الليل أخذ بالانقراض وان ميعاد الانصراف قد خان لهم . ونهض الاب ليكون ، ونهض في اثره الجميع ما عدا آغي فومتش ... ووقف راكيتين وقد حمل بيده شمعة مضاءة لينير الطريق لضيوفه المنصرفين بينما ظل آغي جالساً في مكانه ثابتاً كتمثال لا يتحرك ، ولكن يديه فقط كانتا تعبانان في عصبية واضطراب ببعض الخبز وهما ترتجفان ، وكان يحدث نفسه قائلاً : سيعود راكيتين بعد لحظة ، وسوف اطالب اية ان ... ولكن يجب علي ان اكون اكثر جرأة ... وماذا سيفعل ان طلبت ؟ لا شك انه لن يأكلني !

وعاد اخيراً راكيتين وجلس الى جانب ضيفه ، وقد ظهرت على قلمات عجباء علام الاستغراب لكونه لم يبرح المنزل مع باقي الضيوف .

كان على آغي ان يوضح غايته ، وان يطلب الدراهم التي يريدونها ، ولكنه لم يفعل ، بل بدأ في حديث طويل ممل عن العمل ، والاجور وكان راكيتين ينظر اليه في خلال ذلك الحديث بعينين سيطر النوم عليهما ، ولو انه كان يتظاهر بالاصغاء ، والاهتمام ولكنه كان يتثائب من حين الى آخر .

ومضت نصف ساعة ، ولم يعد بإمكان راكيتين الصبر على ذلك وخجأة فتح فمه ، وانطلق متثائباً على اكل ما يكون الثاؤب ، واذا به ينشر ذراعيه متمطياً ، وقال : اني آسف .. ولكنني مجبر ، اذ ان لدي عملاً في صباح الغد .

ونهض آغي فومتش في سرعة وبدأ يقدم عبارات الاعتذار ، واتجه نحو باب الخروج ، وسار حتى قبض بيده على مزلاج الباب ، وهناك توقف خجأة ، وتملك ارادته ، ثم استدار نحو راكيتين ، وقال

بصوت ذليل خافت : اسمع !.. لي طلب صغير ، صغير منك .

- وماذا تريد ؟..

- انت تعرف ... انت تدرك ... انا لا اود مضايقتك . ولكن الزوجة ، كما ترى ، على وشك الوضع ... انت تقهم هذا ولا ريب . واني اعدك انني سأرده .. هل يمكنك ان تقرضني ؟

كان آغي يريد ان يقول عشرة روبلات ، ولكنه في هذه اللحظة بالذات ، ادرك ضخامة المبلغ المطلوب ، فاذا به يقول في صوت اخفت من صوته الاول . خمسة روبلات .

وكان جواب راكتين ، وهو يضع يديه في جانيه : والى كني لا املك كوبكاً واحداً ، ان المنزل بأسره ليس فيه كوبك واحد ! .

وكان آغي يعلم ان راكتين يملك نقوداً ، ولكنه يخشى ان يقرضه بعضها ، ولكن ماذا يفعل ... ردد بعض عبارات الاعتذار ومضى الى الشارع .

\* \* \*

كانت ليلة من ايامي القمر ... وكان البرد شديداً ... وصوت ارتطام الاقدام بالثلج الذي يكسو الارض يسمع جلياً ... وكان على آغي فومتش ان يقطع مسافة طويلة ... الى منزله .. المال .. المال .. كل تفكيره كان في المال ... انه بعد قليل سيصل الى بيته الرطب الكائن تحت الارض ، ذات النوافذ الخضراء التي وضعت فيه زوجته عوضاً عن الزجاج المكسور بعض اوراق الجرائد ... ان هذا برغبه . واذا ما فتح الباب ودخل ، ستملاً انفه رائحة الفقر ، رائحة الحاجة والفاقة . رائحة ملابس اطفاله البالية . ماذا سيقول لزوجته عندما تسأله عن النقود في صوت ذليل متعب ؟.. لقد عاد اليها بعد ان اشترك في وليمة تناول فيها الفودكا ، واكل لحم الخنزير المشوي .

بينما اوت هي والاطفال الى الفراش وهم جياع قانعون بمجرد  
الامل في ان والدم سوف يعود اليهم ومعه بعض المال .

وتهد آغي من اعماقه ، وهو يردد صرخة من صرخات الارواح  
المعذبة : يا إلهي !.. لماذا وهبت الآخرين السعادة والراحة ، وكل  
ما يطلبون ويرجون ؟ لماذا نسيتني وتخلت عني يا إلهي ؟ لماذا يجد  
بعض الناس ما يريدون ، وفوق ما يريدون من المال ، ولماذا لا يجد  
انا ولو مرة واحدة ما اريد ! عشرة .. عشرة روبلات ، وايمت  
عشرين روبلا لادفع اجر القابلة ، ولابتاع حذاء « لفاسينتكا »  
ومعطفاً يدفيء « ليليا » .. لماذا لا اجد كيساً في الطريق ؟ .. او  
محفظة ، ان هذا لا يحدث كثيراً ... يحدث غالباً . . . لقد سمعت  
وقرأت كثيراً عن حالات مثل هذه .

وذهب به التفكير بعيداً ... وتخلت تخيلته عن التفكير ، وبدأ  
يحلم في اليقظة احلاماً سعيدة ..

خيل اليه انه عثر على كيس كبير من الجلد في الطريق ، وانه  
فتحه فوجد فيه رزماً من اوراق النقد الباهظة ، واوراق اليانصيب .  
وانتقل فجأة الى مسكن فخيم بهيج دافئ ، واقتنى اثاثاً من  
احسن الانواع ، واشترى الكثير من الملابس لنفسه ، ولأفراد أسرته  
واشترى كل الاشياء الجميلة التي يستطيع بالمال شراءها ... وشيئاً فشيئاً  
وقد يكون ذلك بتأثير كؤوس الفودكا التي احتساها ، قد سيطرت  
على تفكير آغي ، ففكرة قوية لم تعش الى جانبها فكرة اخرى ..  
يجب اليوم ، بل في هذه الساعة ان يجد كيساً في الشارع . . .  
وسيجده سيجده بأسرع مما يتصور ... ولكن لماذا يحدث هذا ؟ ..  
انه لا يدري بل لا يستطيع ان يفكر في سبب حدوثه ، وكيفية  
ذلك الحدوث . . . كان يشعر ببساطة انه سيحدث . . . وسار

مطرق الرأس يتفحص الارض في عناية .

- والآن في هذه اللحظة . . . في اللحظة . . . ان كثيرين من

الناس وجدوا مثل هذه الاشياء . . . بعد خطوات اخرى . . .  
حالا . . . فوراً . . .

وفجأة ، ولم يسكن هذا تحت تأثير احلام اليقظة ، ولم يسكن  
خيالاً ، رأى شيئاً اسود في الطريق الثلجي الابيض ، وتقدم آغني  
نحو هذا الشيء ، وقد ارتفع شعر رأسه بعد ان نظر حواليه خلسة  
وفي حذر نظرات لص حريص ، ثم اندفع ، اندفاع الريح ناحية  
هذا الشيء .

وبين يديه امسك بكيس من الجلد . إذن فقد حدث ما كان  
ينتظر !.. ولكنها مفاجأة اخرسته ، وصدمته حتى انه فقد الحركة  
اعده ثوان ... ثم سرت الفرحة في عروقه ، وادرك انه حصل على  
ما يريد ، فوضع الكيس عند صدره ، وخطا مسرعاً الى منزله .

كان عليه ان يسير نصف ميل ... ولم يكن قد اعتاد السرعة ،  
فشعر بجنبه يؤلمه ، نتيجة ا تلك التجربة ، وجف حلقه ، وشعر كأن  
الدماء يغلي في رأسه ، واكن فانه لا يستطيع ان يتوقف عن السير .  
خيل اليه انه لو تأخر لحظة للحق به صاحب الكيس واخذه منه .

وفي اثناء سيره سقطت قبعته من فوق رأسه ، فخطار له ان  
ينحني ليلتقطها ، واكنه عدل عن هذه الفكرة واستمر في سيره وهو  
يحدث نفسه : سأشتري القبعة غيرها .

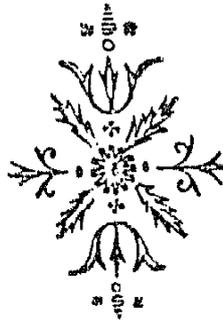
وطرق باب المنزل طرقات متوالية عنيفة ، ايقظت زوجته وهي ترتجف ،  
واقبلت لتفتح الباب وفي يدها شمعة .

واستيقظ الاطفال ايضاً ، وبدت في عيونهم علامات الفرع : وهم  
ينظرون الى والدهم .

ووقع آغني على مقعد قريب وقد اصفر وجهه وشحب ، وتصبب العرق من جبينه والتمعت عيناه وصاح : يا انيشكا .. يا اولاد .. هنا في هذا الكيس .. مال .. نقود مائة الف روبل .. منزل كبير .. فودكا .. اربعمائة الف .. هل تفهمون .. هورارارا ! .. هاي بيان هاي .

\* \* \*

اما اليوم فان آغني فومتش غني من كبار الاثرياء . ثرى الى درجة انه اذا قورنت ملايين « الالدرادو » وكنوز « كاليفورنيا » بثروته لبدت كل شيء .. انه يمتلك ستين الف جواد من خييرة الجياد في اسطبلاته ، ولديه ثلاثة ملايين وخمسمائة عربة خاصة . انه مدير جميع سكك حديد العالم بما فيها الخط الذي انشىء حديثاً ليصل بين الارض والمريخ ، وهو كريم كرمياً غير عادي ، فهو يهب اي بائس يلقاه لا اقل من مليون روبل ... انه كريم الخلق ، ودمث الطباع ، ولكنه لا يحتمل شيئاً واحداً وهو ان يقترب احد الناس من كيسه الجلدي الذي يحتوي على ثلاثة روبلات معفرة بالتراب ، وايصال تصدير عفش ، ونشرة منتزعة من احدي الصحف .. انه اذا اقترب احد من هذا الكيس فقتز من مكانه نائراً ثورة غريبة ، ورمى المحيطين به باقرب شيء يقع في يده .. اما زوجته واولاده فانهم مغرمون بالدهم يتفانون في حبه وخدمته ، وهو يبادلهم نفس الشعور . ومن يدري . الا يحتمل ان يكون المجانين اسعد من العقلاء ؟ ..



## رمل الحياة وزيدها

عن الكسندر بوشكين

كانت نسائم الربيع تلاعب الستائر الشاحبة القذرة في غرفة « أنا فردريكوفا » صاحبة نزل « سيربا » وهو احد فنادق الدرجة الثالثة . كانت جدران الحجرة مكسوة بالورق الاصفر ، وعلى احدھا علقت مرآة متدلية الى الامام ، وظهر على صفحتها منظر ارض الغرفة وصور بعض المقاعد والقليل من الاثاثات المقابلة . كانت الغرفة مقسمة الى اجزاء ، ففي الركن الجانبي الصغير سرير صاحبة المنزل . وعلى جانبه مخادع اولادها الاربعة ، ويقابلهم من الناحية الاخرى ركن تكدست فيه آلات وادوات وملابس ، وكل الاشياء التي لا تخاطر على بال ، فمن حقائب مختلفة الاحجام والالوان ، الى سناديق صغيرة ، الى قيثارة مقطعة الاوتار ، وآلة موسيقية يدوية « اكورديون » ، الى آلة حياكة قديمة ، وآلة تصوير ، وأشياء اخرى كثيرة ، صادرتها صاحبة المنزل من زبائنها الذين تهربوا من دفع اجرة مبيتهم في منزلها . واغلب زبائن نزل « سيربا » من المسافرين المتجولين ، ومن القرويين الفقراء ، أو السامرة اليهود ، كما ان النزل يستقبل بعض الشبان والشابات ، يأتيون اليه خلسة ازواجاً ازواجاً ..

كانت « أنا فردريكوفا » تعطي بعض الطعام في ركن من

الغرفة ، وهي ارملة تحطت العقد الرابع من عمرها ، وخطط الشيب شعرها الكث الغزير ، ولكن وجهها احتفظ برونق صباها ، وهي امرأة عصبية المزاج تظهر دلائل البغض والحب والغضب والبهجة على وجهها في لمح البصر .. قوية البنية ، بإمكانها ان تحتسي الفودكا كأي رجل ، كما انها لها ميلاً جنونياً الى الرقص .

وعلى ارض الغرفة جلس طفلاها الصغيران ينتظران في لهفة بدء تناول الطعام . ، اما الابنة الكبرى « اليشكا » وشقيقتها « رومكا » فلم يعودا بعد من المدرسة . وعند النافذة جلس الملازم « ايفانوفتش » من احتياطي الجيش الى منضدة وفتح امامه الدفتر الكبير الذي يسجل فيه اسماء النزلاء ، ويدل مظهر الملازم هذا ، على حقارته ، على عن قديم وعظمة غابرة .. وعمله في نزل سيربنا عمل معقد ، فهو ينوب عن « أنا فردريكوفا » امام السلطات .. ويمتحن الاولاد فيما تعلموه في المدرسة كل يوم ، ويسجل اسماء النزلاء ، ويدقق حسابات النزل . . ثم هو الى جانب ذلك يقرأ صحيفة الصباح بصوت مرتفع ، ويتكلم في السياسة .

وينام الملازم في اية حجرة تكون خالية ، فاذا حدث وكان النزل مليئاً نام على احد المقاعد في الصالة .

وكانت الارملة تسيطر على الملازم سيطرة تامة وطالما قات له :

- تزوجني وسأعمل المستحيل من اجلك .. اشتر لك حذاء جديداً ، وبدلة جديدة ، وفي ايام العطلة اعيرك ساعة المرحوم زوجي بسلسلتها الذهبية .

ومع ان الاغراء كان شديداً غير ان الملازم كان دائماً يفضل حرته .

\* \* \*

ومن الاشياء التي اعتادها زبائن نزل سيربنا تلك المخاصات الهائلة

التي تقوم بين صاحبة المنزل وبين الملائم ايقانوفتش . فقد كان بمساعدة  
ابن صاحبة المنزل يجلس كتباً لأحد النزلاء ويبيعها سرّاً .. أو ينهز  
فرصة غياب « أنا » فيحتفظ بأبجار بعض الغرف لنفسه . والاعن من  
ذلك كله ، انه يغازل الخادمت .. وهنا كانت تقوم القيامة ، وتفتح  
ابواب الغرف ويظهر منها رؤوس النزلاء رجالاً ونساءً ، وينتهي الامر  
بطرود الملائم مشيماً بالسباب والشتائم ، فلذا قاوم ضربه « ارسني »  
البواب الضخم ضربة قاسية تتورم لها عيناه ، ويدمى انفه .

وكانت « أنا » تشيخه الى الباب صارخة : اذهب أيها المنافق ،  
أيها اللص ! .. أأحرم أودي واطعمك ؟ .. ثم تسرفني وتغشني ؟ ..  
اذهب الى الجحيم .

فيردد اولادها الاربعة من ورائها : الى الجحيم الى الجحيم ! ..

ويحتج الملائم انه ضابط له كرامته ، ولا يصح ان يعامل  
هكذا . فلا يجد لاحتجاجه ، إلا ائنة من افواه الجميع ، وصفقة  
للباب من ورائه .

\* \* \*

ويعود الملائم ايقانوفتش كما دته بعد يومين أو ثلاثة ، يعود متورم  
الوجه بطيء الخطى ، يحمل بين يديه باقة من زهور الحدائق العامة .  
وما كادت « أنا » تراه ، وهي تمد الغداء لأولادها ، حتى تهب  
في عنف ، ولكنه عنف هاديء .. فقد اناها الارق تلك الليالي  
التي قضاها الملائم بعيداً عنها .. وتملكها الغيرة ، وورت من اعماق  
نفسها لو عاد .. قالت :

- لا ادري لمّ ساءت اموري منذ رأيت وجهك الكئيب ، عندما  
كنت أعيش مع المرحوم زوجي ، كان كل شيء على ما يرام ، فلما  
جئت تعقدت الامور .. البواب لا يعود إلا سكراناً ، والخادمت

يسرقن الزبائن ، وأناس آخرون يستنزفون دمي ولا يعملون شيئاً .  
وكان الم لازم يعلم تماماً من تقصد « أنا » بقولها هذا ولكنه لم يحتاج ،  
فان رائحة الطعام تثير كل حاسة من حواسه .

ووضعت « أنا » الصحون على المائدة ، واجلست طفلها الصغيرين  
ولكن الم لازم اسرع بعيداً واغرق وجهه في دفتر الحسابات ، وانهمك في جمع  
الارقام بصوت مرتفع .. كأنه يعاف الطعام .

ولكن « أنا » دعتة ملححة ، فتقدم الى المائدة في خطوات بطيئة ،  
فاختارت له قطعة لحم كبيرة ثم قالت : ارو لنا إحدى اكاذيبك ..  
اراهن انك قضيت هذه الليالي الثلاث مع امرأة !..

فقال وهو يمضغ الطعام : أنت تصدقيني .. لقد همت على وجهي  
في الشوارع العن نفسي كلما تذكرت اني اهنت المرأة الوحيدة التي  
اعبدها .

فاحمر وجه « أنا » ولكنها قالت : هذه كذبة اخري من اكاذيبك  
أبها اللعين .

- أنت لا تثقين بي .. ولكنني اقسم اني كنت اقضي الساعات  
تحت نافذتك هذه .. وكم تمنيت لو ان النار تشتعل في المنزل ،  
وحينذاك كنت ترين كيف اضحي بنفسي لانقاذك ... الا تصدقيني ؟  
ما أتعسني ... ما أتعسني !..

وهنا اخرجت « أنا فريديريكوفا » بضع دراهم اعطتها لأحد  
طفلها الصغيرين وقالت : اسرع . اذهب الى فاسيلي فاسيلتين ، واشتر  
زجاجة فودكا ، على ان تكوذ مثلجة .. اسرع .

وانتهي الطعام وفرغت زجاجة الفودكا حين جاء الابن المضطهد من  
ابناء « أنا » من المدرسة ، فالقى نظرة على المائدة وقال كعادته :  
ها . انتهزتم فرصة غيابي فأكلتم كل شيء . وتركتموني جائعاً كالكلاب الجربان !

ولكن الام صاحت به قائلة : هاك بنسين واشتر لك شيئاً  
من السوق .

ولكنه احب في وقاحة : انت وايفانوفتش تأكلان اللحم كله .  
واذهب انا الى السوق ؟..

وصرخت امه في وجهه : اخرج . يالك من وقح !..

وهنا دخلت « ايشكا » ابنة « أنا » الكبرى وهي فتاة في الثالثة  
عشرة من عمرها ، بدأ جسمها يتبلور متجهاً نحو الانوثة .  
كان النزلاء الرجال في النزل يمنحونها قطع الشكولاته ، وطالما  
ادخلوها معهم الى حجراتهم .

ما كادت ( ايشكا ) ترى المائدة خاوية حتى ابتسمت وقالت :

- يظهر اني تأخرت ... امه هل اذهب الى ( يوجينا ) .

ويوجينا عاهرة شقراء ضخمة الجثة تسكن الحجرة رقم ٥ وهي  
صديقة ( ايشكا ) الاولى .

وخرجت الفتاة وتركت امها والملازم وحيدين . . . وكان الجو  
دافئاً وقد سرت نشوة الفودكا والطعام اللذيذ في رأس الملازم الذي  
كان يسكب كلمات الغرام في اذن الارملة ويداعب بساقه ساقها تحت  
المائدة ثم قال : الا توجد غرفة خالية ؟.. غرفة خالية يا عزيزتي ( أنا )  
فأنا متعب .

وكانت الحجرة رقم ٥ خالية فذهب الملازم والارملة اليها ،  
واغلق الباب .

وقال الملازم وقد جلست ( أنا ) وايفانوفتش يقبلها وتقبله :

- عزيزتي ( أنا ) ان كنت تحبينني ، فابعثي بمن يأتييني  
بعلبة سجائر .

ولكن ( أنا ) صاحت به قائلة : في وقت آخر . في وقت آخر .

وهبط ايل الربيع السريع ، وتسربت تساقته من النافذة تحمل  
عبير الزهور ، ونخأة سمعت طرقة على باب الحجرة رقم ٥ فقامت (أنا)  
هالعة عارية القدمين لتسمع صوت ( ارسني ) البواب يقول بصوت  
ثورغيور : هناك طالب يريد استئجار الغرفة .

فقام الملازم مسرعاً وارتمى ملابسه بسرعة عجيبة وخرجت (أنا)  
لتستقبل هذا التلميذ ، فاذا به شاب في عنقوان العمر ، شاحب الوجه  
دفع الاجرة مقدماً ، ثم اسرع الى الحجرة رقم ٥ ، اما الارملة فقد  
عادت الى حجرتها مشعثة الشعر ، وفي اثرها الملازم .

\* \* \*

في حجرة ( أنا فريديركوفا ) كانت ( ايشكا ) تطل حاملة من  
النافذة ، وجلس الطفلان محتسيان كؤوس الشاي ، بينما جلست الارملة  
والملازم على احد المقاعد المريضة .

وما كادت ( أنا ) تخرج من الحجرة لتحمل الى التزيل الجديد  
دواة حبر وريشة ، حتى تسلب الملازم نحو الفتاة ( ايشكا ) ثم  
همس في حنو :

- ايشكا فيمن تفكرين ؟ ..

فابتعدت عنه ، ولكنه رفع خصلات شعرها في سرعة وقبلها على  
عنقها الدقيق الناعم الملمس .

فقالت الفتاة دون ان تبعد هذه المرة : سأخبر امي بكل شيء .

ولما عادت الام اخذ الملازم يتم قصة كان قد بدأها ، وكان  
شيئاً لم يحدث .

\* \* \*

في الغرفة رقم ٥ جلس الطالب الشاب على حافة السرير ، وامامه  
طاولة عليها شمعة مرتعشة النور ، واخذ يكتب في سرعة :

قضي الامر .. وبعد ربع ساعة أو أقل سأطلق النار على رأسي ،  
وأغادر هذا العالم الذي ما شعرت فيه بلحظة من السعادة . وليعلم  
رفاقي اني لم اخنهم ، ولكنني ارتعشت من ذلك الضابط الضخم الذي  
اخذ يصرخ في وجهي كثور هائج ، فلم استطع ان اقاوم ، فتغلبت  
بيلي طبيعة الجبن المتأصلة في نفسي .

نشأت لا اعرف لي ابا .. بل وجدت نفسي وامي كخدم في  
قصر كبير . وكنت العن نفسي ، والعن امي حين اراها تقوم  
بحركات بهلوانية ، وتقلد اصوات الحيوانات . لتظفر بقروش من اطفاش  
لا يزيدون على عمري بشيء .. عشت في جو خائف من الاضطهاد ،  
وكان زملائي يسمونني في المدرسة « الاحدب » بسبب تلك الانحناء  
الشؤوم في ظهري .

وأنا اعلم حتماً ان كلمة ( خائن ) كلمة فظيعة ، تحمل في طياتها  
معاني الغباء والجبن والدناءة . ولهذا يجب ان اموت .

لم يبقَ على الساعة التاسعة سوى خمس دقائق . . . ثم يحلني  
بحر الحياة الهائل بين امواجه الصاخبة الى عالم مجهول ، تجرد روحي  
على شاطئه الخربة الكاملة غير منقوصة .

فما اروع هذا البحر !.. ربما فاضت امواجه على هذه المدينة  
فمحت اسمها من سجل الوجود .

الساعة التاسعة تماماً . . . قضي الامر وحانة الساعة . . نسيت  
الربيع الدافئة تلاعب سنائر الحجر . . . وهناك « كلب يفتح  
من بعيد » .

واسبب ما اقفل الطالب زجاجة الفودكا بعناية ، ثم  
سوب فوهة المسدس على جبهته ، وضغط على الزناد فهوى صريعاً .

وصاحت « أنا فريديركوفا » في غرفتها : ما هذا !..

قَالَ الْمَلَايِمُ : أَغْلِبَ الظَّنُّ أَنَّ الطَّالِبَ قَدْ انْتَحَرَ . . . كُنْتُ  
أَتَوَقَّعُ هَذَا .

وَأَنْدَفَعْتُ « أَنَا » إِلَى الْحِجْرَةِ رَقْمَ ٥ فَوَجَدْتُ الْبَابَ مَقْفَلًا  
مِنَ الدَّخْلِ .

وَبَعْدَ دَقَائِقَ تَجَمَّعَ جَمْعٌ غَفِيرٌ عَلَى بَابِ النَّزْلِ فِي رِدْهَتِهِ ، ثُمَّ  
جَاءَ مَفْتَشُ الْأَمْنِ ، وَهُوَ شَابٌ فَارِعٌ الْقَوَامِ فِي مَقْتَلِ الْعَمْرِ .

وَفَتَحَ بَابَ الْحِجْرَةِ بِقُوَّةٍ . وَكَانَتْ الشَّمْعَةُ مَا زَالَتْ مَوْقُودَةً ، وَعَلَى  
الطَّاوِلَةِ سَاعَةُ الطَّالِبِ تَبْعَثُ دَقَائِمَهَا الْخَفِيفَةَ ، بَيْنَمَا سَقَطَتْ جِثَّتُهُ عَلَى  
الْأَرْضِ وَانْغَرَقَتْ رَأْسُهُ فِي بَرَكَةٍ مِنَ الدَّمَاءِ .

وَقَالَتْ « أَنَا » : مَا أُنْعَسُ هَذَا الطَّالِبُ .. وَمَاذَا فَعَلْتَ لَهُ حَتَّى  
يَفْعَلَ مَعِيَ هَكَذَا .. أَنَا امْرَأَةٌ صَالِحَةٌ تَكْسِبُ رِزْقَهَا مِنْ عِرْقِ جَبِينِهَا ،  
وَالآنَ سَيُنْشَرُ اسْمِي فِي الْجُرَائِدِ .

وَبَعْدَ دَقَائِقَ انْتَهَى التَّحْقِيقُ ، وَهُمْ مَفْتَشُ الْأَمْنِ إِذَا يَغَادِرُ النَّزْلَ ، وَكَانَ  
« أَنَا » دَعْتُهُ مَلْحَةً أَنْ يَتَنَاوَلَ طَعَامَ الْعِشَاءِ مَعَهُمْ .

وَجَلَسَ مَفْتَشُ الْأَمْنِ وَالْمَلَايِمُ وَ« أَنَا » وَالْفَتَاةُ « الْيَشْكَا » حَوْلَ الْمَائِدَةِ  
وَكَانَتْ « أَنَا » تَخْتَارُ قِطْعَ اللَّحْمِ السَّمِينِ لِمَفْتَشِ الْأَمْنِ بَيْنَمَا كَانَتْ سَاقَهَا تَدَاعِبُ  
سَاقَهُ تَحْتَ الْمَائِدَةِ .

وَبَعْدَ أَنْ أَلْهَمُوا كُلُّ مَا كَانَ عَلَى الْمَائِدَةِ ، وَأَفْرَغُوا فِي أَجْوَافِهِمْ عُسْدَةَ  
زَجَاجَاتٍ مِنَ النَّبِيدِ الْمَعْتَقِ الَّذِي كَانَ زَوْجُ « أَنَا » الرَّاحِلَ يَحْتَفِظُ بِهِ . قَامُوا  
الرَّقْصَ .

وَحِينَ هَبَّ مَفْتَشُ الْأَمْنِ ائِسْتَأْذَنَ فِي الْإِنْصِرَافِ ، وَبَيْنَمَا كَانَ يَلْقَى تَحِيَّةَ  
الْمَسَاءِ دَخَلَ ابْنُ صَاحِبَةِ النَّزْلِ الْمَضْطَّهِدِ . وَمَا كَادَ يَشَاهِدُ الصَّحُونَ الْفَارِغَةَ عَلَى  
الْمَائِدَةِ حَتَّى قَالَ :

- هَا .. لَقَدْ انْتَهَزْتُمْ فُرْصَةَ غِيَابِي فَأَكَلْتُمْ كُلَّ شَيْءٍ ، وَتَرَكْتُمُونِي جَائِعًا  
كَالْكَلْبِ الْجُرْبَانَ .

## في المنفى

عن تولستوى

كان يعيش في قرية « فلاديمير » ، تاجر شاب ، يدعى « ايفان »  
يعتبر بنش اكرينوف ، وكان يدير حانوتين للتجارة ، وبذلك  
منزلاً للسكن .

كان الرجل في فخر شبابه لطيفاً مرحباً محباً للغناء ، يعاطي  
شرب الفودكا حتى يكاد يفقد سلطانه على نفسه ، ولكن منذ ان  
تزوج عاف الخمر ، فهو لا يقرها الا في بعض المناسبات .

وذات صباح من ايام فصل الصيف ، استفاق الرجل يود السفر  
الى العاصمة بداعي التجارة في اسواقها غير ان زوجته قالت له : لقد  
رأيت اليوم حلاً سيداً يا ايفان أختى منه عليك ، فلا تسافر اليوم .

وضحك الرجل من قولها ، وهو اجس احلامها ، وقال : تخشين  
علي من السفر الى العاصمة ؟ . . اني ادرك سر تخاوفك ، فانت  
تخشين ان اشرب الفودكا واعربد في المدينة .

فاجبت الزوجة : كلا . اني اعرف جيداً انك عفت الخمر  
منذ ان تزوجنا ، ولكنني لا ادري ماذا يخيفني ، وكل ما عندي اني

رأيت حلاماً سيئاً ، لقد رأيت فيما يرى النائم ، انك قد عدت من  
العاصمة ، وحينما نزع قبعتك عن رأسك ، شاهدت شعرك وقد  
وخطه الشيب .

فضحك الرجل وقال : كل ما رأيت بشير خسير ، ستين اتي  
سأبيع بضاعتي بكاملها ، وسوف آتيك من اسواق العاصمة  
بهدايا ثمينة .

وهكذا ودع ايفان عائته ، وركب عربته مسافراً .

وحين وصل ايفان الى منتصف الطريق كانت الشمس تنذر  
بالغروب ، فنزل فندقاً ايبات فيه ليلته ، وفي الفندق رأى تاجراً  
صديقاً ، شربا معاً الشاي وتناولوا طعام العشاء ، ثم افترق الرفيقان  
كل الى غرفته ، وكانت الغرفتان متجاورتين .

ومن عوائده اكرزبونوف انه كان يستيقظ من نومه باكراً ،  
ورغبة باتمام السفر قبل ان تشتد حرارة الشمس اللافحة ، ولكي يتمتع  
النفس في نسيم السحر العليل ، ولذا فقد استيقظ على خد الصباح  
وايقظ سائس الاصطبل وامره باعداد الجياد ، وقابل مدير الفندق  
الذي كان يبات في غرفة خارج الفندق ودفعت له اجر المبيت ، ثم  
تابع سفره .

وبعد ان قطع خمسا وعشرين ميلا ، اوقف العربية لاطعام الجياد  
وغادرها اكرزبونوف الى الفندق الذي وقفت العربية عنده ، وجلس  
في ردهته وطلب من الفندقتي شراباً ساخناً ، واخرج قيثارته وراح  
يعزف عليها .

وعلى حين جأءة وصلت عربية الامن ذات اجراس تدق ، ونزل  
منها موظف حكومي وتبعه جنديان . واقترب الموظف من اكرزبونوف  
وبادره بالاستجواب ، عمن يكون ، ومن اين هو ؟ ثم دعاه ليشرب

الشاي معه ، ولكن الموظف مضى في استجوابه سائلاً : اين قضيت  
ايلتك الماضية ؟.. اكنت وحدك ام مع زميل لك في التجارة ؟ وهل  
رأيت هذا التاجر في صباح اليوم ؟ ولم رحلت عن الفندق  
قبل الفجر ؟..

واندهش الشاب لهذه الاسئلة ، ولكنه اجاب ذاكراً وقائع ما  
حدث . وانتهى من ذلك بقوله : لم تستجوبني كأنتما أنا لص أو قاطع  
طريق ؟ أنا رجل مسافر في عمل وايس هناك ما يدعو لاستجوابي .  
وعندئذ دعا الموظف الجنديين قائلاً : أنا ضابط الجند في هذه  
المنطقة ، وأنا أسألك ، لأن التاجر الذي قضيت معه الليلة الماضية  
وجد مذبوحاً ، وواجبي الآن ان افتش حوائجك .

وحل الجنود والضابط متاع اكرزيونوف وفحصوه . وعلى حين  
فجأة أخرج الضابط سكيناً من احدى الحقائق وصاح قائلاً : لمن  
هذه السكين ؟..

ونظر اكرزيونوف ، وأذهله ان يرى سكيناً ملوثة بالدماء تخرج  
من حقائقه . وقال الضابط : من أين أتى الدم الى هذه السكين ؟..  
وشاء اكرزيونوف ان يجيب ولكنه لم يستطع وتلعثم قائلاً :  
. لا ادري ؟ انها ليست لي .

وهنا قال الضابط : وجد التاجر هذا الصباح مذبوحاً ، وأنت  
الوحيد الذي يمكن ان يكون قد فعل هذا . فالفندق كان مغلقاً من  
الداخل ، ولم يكن به سواكما ثم هذه السكين ملوثة بالدماء تجدها  
في حقائقك ، ووجهك وحالك ينهن عنك ! فقل لي كيف قتلته ،  
وكم من المال سرقت ؟..

وأقسم اكرزيونوف انه لم يفعل شيئاً من ذلك وانه لم يَرَ ذلك  
التاجر منذ ان شربا الشاي سوياً ، وانه لا يملك معه اكثر من

ثمانماية الف روبل وهي ماله ، وان السكان ايست له .

ولكن صوته خانه ، ووجهه شحب لونه ، وارتعدت فرائصه كما لو كان مجرمًا ، فأمر الضابط جنوده ، فشدوا وثاق اكرزيونوف ، وحملوه الى العربية الحكومية وعندئذ سلم الاسير امره لله وبهكي . وصودر ماله وبضاعته واقتيد الى اقرب مدينة فيها سجن . وسئل اهالي وتجار قرية فلاديمير عن سلوك اكرزيونوف وعن اخلاقه ، فأجمع الناس على انه كان في فجر شبابه سكيراً يضيع وقته سدى إلا انه كان رجلاً طيباً .

وجاء يوم المحاكمة فاتهم انه قتل ذلك التاجر الذي كانت من ريزان ، وساب مبلغ عشرين الف من الروبلات .

وامتولى على زوجته اليأس ، ولم تعد تدري ماذا تصدق ، وكان اطفالها صفاراً ، واصطحبت معها الى المدينة هؤلاء الصغار ولم يصرح لها اولو الامر برؤية زوجها ، ولكنها بعد رجاء وتوسل نالت الاذن بذلك . ولما رأت زوجها في ملابس السجن واغلاله بين زملائه من اللصوص والمجرمين ، مادت الارض تحت قدميها فهوت فاقدة الرشيد ، وظلت كذلك بعض الوقت ، حتى افاقت فجمعت اطفالها واقتربت منه واخبرته انباء قرية فلاديمير وسألته عما حدث له فاطمعتها على كل شيء واخيراً تساءلت قائلة :

.. ماذا يمكن ان تفعل الآن؟.

.. يجب ان نلتمس من القيصر الا يعدم رجلاً بريئاً .

واخبرته زوجته انها رفعت التماساً الى القيصر والسكن الاتماس رفض . ولم يجب اكرزيونوف بل اطرق برأسه نحو الارض . وعندئذ قالت الزوجة : لم يكن عبثاً ما رأيته من ان شعرك قد شاب انذكر؟ لم يكن من العدل سفرك ذلك اليوم .

وقالت وهي تمبث بشعره بأناملها : اصدق زوجتك النبأ يا عزيزي . ألس القاتل ؟..

وقال اكزيونوف : انت الاخرى يتطرق اليك الشك في .  
واخفى وجهه بين يديه وبكى ، وعندئذ جاء الجندي ليقول  
المرأة واطفالها ان يذهبوا . وودع اكزيونوف عائلته الوداع الاخير .  
ولما انصرفت الزوجة واولادها . استعاد اكزيونوف ما دار  
بينه وبين زوجته ، ولما ذكر ان زوجته هي أيضاً تشك فيه اخذ  
يحدث نفسه :

- لا ريب ان الله فقط هو الذي يعلم الحقيقة ، فاليه وحده  
يجب ان اتجه ومنه وحده انتظر الرحمة .

وكف اكزيونوف عن الالتماسات والوساطة ، وودع كل أمل  
واكتفى بالصلاة والدعاء .

وحكمت المحكمة على اكزيونوف بالنفي والعمل في المناجم بعد ان  
تم جلده ، وتشقق جلده ، وعولجت الجروح ، وسيق اخيراً الى  
سبيبريا مع سواه من المجرمين .

وعاش اكزيونوف ستة وعشرين عاماً في سبيبريا عيشة المجرمين  
ووخط الشيب شعر رأسه ، وطالت لحيته ، ولم يبق بعد ذلك المرح  
الطروب ، بل اضحى يشرب في بطء ويسير في ثقل ، ويتكلم نادراً  
ولا يضحك ، بل كان دائم الصلاة والدعاء .

وتعلم اكزيونوف في سجنه صناعة الاحذية ، واستطاع ان  
يكسب قدرأ يسيراً من النقود ، فكان يشتري بها كتب وسير القديسين  
وكان يقرأها اذا سمح له ضوء السجن بذلك ، واذا جاء يوم الاحد  
يسعى للصلاة في كنيسة السجن ، فكان يقرأ المزامير ويرتل الانشيد  
وقد تغير باكزيونوف كل شيء ، غير ان صوته بقي حافناً رفته وشفاء جماله .

وعطف عليه اولى الامر في السجن لوداعته ، واحبه رفاقه السجناء ، واحترموه ، وكانوا اذا شاءوا ان يلتمسوا امرأ من ولاية الامور جعلوا منه وسيطاً ورسولاً لهم اليهم ، واذا ما دبت السجناء بين السجناء ، حكموه فيما شجر بينهم وانقطعت اخبار عائلته شيئاً فشيئاً عنه ، ولم يعد يدري ماذا كانت زوجته وابناؤه بين الاحياء أم انهم ذاقوا حتفهم ولحقوا بالرقيق الأعلى .

وفي يوم وصلت عصابة من المجرمين ، وما ان حان المساء حتى اجتمع السجناء القدامى حول السجناء الجدد وامطروهم وابلاً من الاسئلة عن اوطانهم ، وعن الاسباب التي رفعت بهم الى السجن ، وجلس الكزبونوف بين الجالسين مرهف الآذان في تلهف وشوق لعله يقف على انباء بلده .

وكان بين المجرمين الجدد شيخ في الستين من عمره طويل القامة قوي البنيان ، اخذ يقص قصته التي ادت الى محاكمته والحكم عليه .

- كل ما في الامر يا اصحاب اني حللت جواداً من عربته وضبطت ، وحوكت بتهمة السرقة ، وقلت في دفاعي اني اخذت الجواد لأسرع في الذهاب الى البيت ، ثم اطلق سراحه ، هذا فضلاً عن ان الحوذي صديقي . فقيل لي ولكنها سرقة ، وانت سارق الجواد الا انهم لم يحددوا كيف ولا اين سرقت الجواد . حقاً لقد ايت ائماً كنت استحق من اجله ان اكون هنا منذ زمن بعيد ولكنني يومئذ لم اقع تحت طائلة القانون لاني لم اضبط ، والآن سأنفى لسبت تافه . ولكنني اكذب عليكم في هذا ، فقد كنت هنا في سيبيريا من قبل ولكنني لم ابق طويلاً .

وقال احد السجناء : ومن اين انت ؟ ..

فاجاب قائلاً : من فلاديمير فعائلي منها واسمي « ماكار »

وأحياناً يلقبوني « سيميونيش » .  
فرفع اكرزونوف رأسه قائلاً : خبرني يا سيميونيش عما اذا  
كنت تعلم شيئاً عن آل اكرزونوف التجار بفلاديمير ، وهل هم على  
قيد الحياة ؟ ..

- أتسأل اني اعلم عنهم شيئاً ؟ .. طبعاً اعرفهم . قال اكرزونوف  
اثرياء ولو ان ابهم في سيبيريا ، وهو مجرم مثلنا كما يبدو . واما انت  
فما كانت اسباب سجنك هنا ؟ ..

ولم يشأ اكرزونوف ان يتحدث عن حظه السيء ، فلم يزد على  
ان تهتد قائلاً : لقد قضيت هنا ستا وعشرين عاماً تكفيراً عن ذنوبي .  
- اية ذنوب اقررت ؟ ..

وقال اكرزونوف : لا بد اني كنت استحق ما تاني .

وكان من الممكن ان لا يزيد شيئاً لولا ان رفاقه السجناء اخذوا  
يروون للسجناء الجدد كيف وصل اكرزونوف الى سيبيريا ، وكيف  
لهم بقتل التاجر ، بينما الجرم شخص آخر ، واسكنه وضع سكينه  
بعد ارتكاب الجريمة في حقائب اكرزونوف ، فلذا حكم عليه بهذا  
السجن طويلاً .

ولما سمع ما كار سيميونيش هذه القصة حدى بنظره نحو اكرزونوف  
وخبط على ركبته بيده قائلاً :

- ولكن هذا عجيب وغريب حقاً . لقد تقدمت بك السنوات  
كثيراً يا جدي .

وتساءل الآخرون عن سبب عجبه ، وعما اذا كان قد رأى  
اكرزونوف من قبل ، ولكن ما كار سيميونيش لم يجر جواباً اكثر  
من قوله : العجيب ان يكون اجتماعنا في هذا المكان ايها الرجال ؟ ..  
وجعلت هذه الكلمات اكرزونوف يتساءل عما اذا كان هذا الرجل

يعرف قاتل التاجر وايذا قال :

- ربما تكون قد سمعت عن تلك القضية او شهدت فصولها ؟  
وقال سيميوبنش : ان الشائعات كثيرة . وعلى كل فقد اتقضى  
زمن طويل ، ولست اذكر كيف عرفت عنها ما عرفت . وتساءل  
اكزيونوف : اما علمت شيئاً عن قاتل التاجر ؟..

فضحك ما كار سيميوبنش وقال : ربما يكون قد وجدت السكين  
في حقائبه رغم انها قد تكون مدسوسة عليه ، ولا يكون مجرمأ ،  
الا من ضبط كما يقول المثل . كيف يتأتى لاحد ان يضع سكيناً في  
حقيبتك وهي تحت رأسك ؟ والا لكنت قد استيقظت .

وهنا تأكد اكزيونوف من ان هذا الرجل هو قاتل التاجر ،  
فنهض وانصرف وقضى ليلة في أرق ، واحس بشقاء لا حـدله ،  
وتراءت لعينيه صور شتى . كانت منها صورة زوجته كما كانت يوم ودعها  
عندما حان وقت سفره الى العاصمة . وراها كما لو كانت امامه ، ثم  
رأى طفليه كما تركبها : احدهما بمطفه الابيض الصغير ، وثانيها على  
صدر امه .

وذكر كيف كان شاباً مرحأ ، وذكر كيف جلس في مدخل  
الفندق يعزف على القيثارة حين قبض عليه في وقت كان ذهنه خالياً  
مما يشغل الأذهان ، فراح يستعرض بمخيلته حوادث الستة والعشرين  
سنة التي انقضت باثقالها وعذابها وقربته من الشيخوخة ، وهسدت  
منه كل قوى ، فاستعرض امام انظاره المكان الذي جلد فيه وكيف  
كان جلاوه يشدون عليه السلاسل ، فتراكت عليه الاحزان والشقاء  
حتى تمنى الاتحار والتخلص من هذه الحياة الثقيلة .

وفكر اكزيونوف في ان عموم هذه المصائب التي حلت به هي  
من جراء ما ارتكب هذا المجرم من فعلة سيئة ، وبلغ غضبه على ما كار

سيميو بنش مبلغاً تاق معه الى الانتقام منه ، وان كلفه ذلك حياته .  
واخذ يصلي طول ليله ، ولكن نفسه لم تهدأ ، وفي يومه التالي  
تجنب الاقتراب من ماكار سيميو بنش او النظر اليه .  
ومضى اسبوعان على هذا النحو ، وكزيونوف لا يغمض له جفن  
ولا يدري ماذا يفعل .

وفي ليلة كان يسير في السجن رأى التراب يتطاير تحت رفا  
من الرفوف التي يرقد عليها السجناء فوقف ابرى ما الخبير ، فاذا  
بماكار سيميو بنش يزحف خارجاً ومن ذلك المكان ينظر اليه  
في خوف .

وحاول اكرزيونوف ان يمر به غاضباً بصره عنه ، واكن ماكار  
امسك يده وانبأه انه قد حفر حفرة تحت الجدار ، وانه ينقل التراب  
الذي ينتج من الحفر الى حدائه ويفرغ هذا الحذاء خارجاً على الطريق  
كل يوم بعد ان يساق المجرمون الى حيث يعملون وانتهى بقوله :  
- ما عليك ايها الشيخ الا ان تسكت والا فانهم سيجلدوني حتى  
الموت . ولكنني سأقتلك قبل ذلك .

فتثار غضب اكرزيونوف وهو ينظر الى عدوه وقال:  
- ايسر بي رغبة في الحرب ، ولا بك حاجة لقتلي . فقتلني  
قتلتني من زمن بعيد . اما عن افشائي سررك فهذا رهن بمشيئة الله .  
وفي اليوم التالي لاحظ الحراس المرافقون للسجناء في ذهابهم الى  
العمل ان كلا من هؤلاء السجناء كان يصب من حدائه تراباً ،  
ففتأشوا حنايا السجن وزواياه حتى عثروا بالسر داب الحفور ، فاستجوب  
السجناء الاهتمام الى الفاعل ، فاتفكر كل منهم معرفته لهذا العمل ،  
رفقاً منهم بماكار سيميو بنش اد كانوا يعلمون انهم لو وشوا به لكان  
نصيبه الجلد حتى الموت . وعندئذ التفت حاكم السجن الى اكرزيونوف

وقد كان يعرف فيه الاستقامة وقال :

- انت رجل صدق فاخبرني بالله من حفر الحفرة؟..

ووقف ما كار سيميونش هادئاً كأن الامر لا يعنيه ، وقد وجه بصره الى الحاكم الا من بعض لمحات كان يوجهها الى اكريونوف واهتزت شففتا اكريونوف وكذلك بداء وظل صامتاً طويلاً وسأل نفسه قائلاً : لماذا أتستتر على من دمر حياتي ؟ فليدفع ثمن ما قاسيت . ولكني ان كشفت امره ، الا يمكن ان يؤدي جلده الى موته ، وقد اكون مخطئاً في اشتباهي في امره فلماذا يجديني اذن ؟ ..

واعاد الحاكم قوله : ايها الشيخ . قل لي الحق . من حفر النفق تحت الجدار؟..

ونظر اكريونوف الى ما كار سيميونش وقال : لا استطيع القول يا صاحب السعادة فالله لا يريد ذلك . افعل بي ما تشاء فانا بين يديك .

وزهبت محاولات الحاكم عبثاً في اكرام اكريونوف على الكلام ولهذا كف عن هذا الامر .

وفي ذلك المساء كان اكريونوف راقداً في فراشه بين النوم واليقظة ، حين جاءه شخص يسعى في هدوء وجلس على حافة الفراش وامعن اكريونوف النظر في القادم فتبين فيه ما كار سيميونش وقال له : ماذا تريد مني ؟ ولماذا جئت؟..

ولكن ما كار ظل صامتاً ، ولهذا جلس اكريونوف وقال :

- ماذا تريد ؟ اذهب عني والا دعوت الحارس .

وانحنى ما كار سيميونش على اكريونوف وهمس :

- اصفح عني يا ايفان ديمتريش ؟

فقال اكريونوف : من اجل ماذا؟..

- انا قاتل التاجر ، وأقد اخبأت السكين في حقيبتك كنت  
أريد قتلك انت الآخر ، ولكني سمعت ضوضاء خارج حجرتك لهذا  
أخبأت السكين في حقيبتك وهربت من النافذة .

وظل اكرزيونوف صامتاً ولم يدر ما يقول وانحدر ماكار من  
جاسته ور كع على الارض قائلاً :

- ايوان ديمتريش ! اصفح عني حياً بالله . اصفح عني .  
سأعترف بآتي قاتل ذلك التاجر فيفرج عنك وتعود الى ذويك .  
- سهل عليك ان تقولها ، ولكني قاسيت بسببك ستا وعشرين  
عاماً . اين اذهب الآن ؟ ان امرأتي قد ماتت ، واطفالي نسوني ،  
فليس لي من اذهب اليه .

ولم ينهض ماكار ولكنه غفر رأسه بالارض وقال :

- اصفح عني يا ايوان ديمتريش . لم يكن احتمالي الجلد الذي جلدهته باشق  
من رؤيتك الآن ، ومع ذلك اخذتك الشفقة بي فلم تخبرهم عني . اصفح عني  
فاني تمس .

واخذ ماكار بيكي . وعندئذ بكى اكرزيونوف هو الآخر ، وقال :  
سامحك الله . فقد اكون اتمس منك الف مرة .

وأحس قلبه وقد ارتاح لهذه الكلمات ، ولم تمد به رغبة للعودة الى منزله  
ولا ارادة لمغادرة السجن ، بل امسى يرجو دنو ساعة موته .

ورغم كل ما قاله اكرزيونوف ، فان ماكار سيميو بنس اعترف بجريمته .  
والكن ما كاد يصدر قرار الافراج عن اكرزيونوف ، حتى كان  
الرجل قد فارق الحياة ، ولحق بالرفيق الاعلى .

## المستكشف العظيم

قصة روسية ساخرة

عن ايليا الفيا والفيجيني بتروف

الأرض الأرض !!

بهذا الهتاف صاح الملاح الذي تسلق ذروة السارية ، وانتهت الآن هذه الرحلة الخيفة الخطرة بظهور الارض .

وتناول خرستوف كولومب المنظار المقرب بيد ترتعش ، وقال لزملائه الملاحين : ارى سلسلة من الجبال ، واكن الغريب ان بها فوافذ ، ولم اسمع من قبل عن جبال لها فوافذ !!

وصاح احد الملاحين : هذا احد قوارب الوطنيين !!

وما هي غير لحظات حتى التصق قارب بالسفينة ، وصعد اثنان من أهل الأرض الجديدة ، فاعتليا السلم في صمت ومشيا مسرعين نحو المستكشف العظيم وفي يد كل منهما ورقة وقلم .

وبدأ كولومب الحديث فقال : اريد ان استكشف بلادكم باسم صاحب الجلالة الاسبانية الملكة ايزابيلا ، واعلن ان هذه البلاد حارت من ممتلكاتها ...

قال احد الامريكيين ، هذا حسن ، وانكن نرجو ان تكتب

هنا اسمك ، وجنسيته ، وحالتك الاجتماعية ، وقراراً نعماً اذا كنت مصاباً بمرض التراخوما ؟ .. وهل لك مآرب سياسي في قلب نظام الحكومة الامريكية ، وهل انت عاقل ام ابله ؟ ..

ووضع كولومب يده على مقبض سيفه ، وكاد يستله ، ولكن لما كان الواقع انه غير ابله ، هداً من ثورة انفعاله وقال لاحد زملائه :  
- يجب ان لا تثير الوطنيين ، فانهم كالاطفال ، وقد عرفت غرابة احوالهم .

وقال الامريكي : هل لديك تذكرة للعودة ، وخمسمائة دولار ؟ ..  
فاجاب المستكشف العظيم مستفهماً : هل لي ان اسأل ما هو الدولار ؟ ..

قال الامريكي : لقد قررت انك غير ابله ، ولكنك مع ذلك لا تعرف الدولار . قل ما الذي تريده هنا ؟ ..  
- اريد استكشاف امريكا ! ..

- هل قمت بدعاية ؟ ..  
- دعاية ؟ .. اني لم اسمع هذه اللفظة من قبل .  
فاطال الامريكيان نحوه النظر ثم قالوا : ألا تعرف الدعاية ؟ ..  
- لا .

- ومع ذلك تريد استكشاف امريكا ؟ .. اني اود ان اصعد في مثل مركبتك يا مستر كولومب .

- ما الذي تعني ؟ الا تريد انك انه في وسمي استكشاف هذه الارض والغنية الخصبة التي غادرت من اجل استكشافها جنوا ! قال احد الامريكيين : انك لن تستطيع اي شيء بغير دعاية .  
عند هذا الحد من الحديث ، كانت سفينة المستكشف قد وصلت الى الشاطئ ، وكان الفصل فصل الخريف ، والجو فيه جميل في

هذا المكان ، ونزل كولومب الى الشاطئ وفي يده حقيبة مملوءة بالحبوب يريد ان يبادل الوطنيين بها على ما بأرضهم من الذهب والعاج . وفي اليد الاخرى علم الدولة الاسبانية . وكانت دهشته شديدة لما رأى الارض مغطاة بالاسفلت وليست مفروشة بالذهب والجواهر ، واقبل نحوه عدد وافر من الناس يحمل بعضهم آلات فوتوغرافية ، والبعض الآخر آلات سينمائية ، وفيهم من يحمل ورقة وقلماً ويتأهب لحديث صحفي ، وبين هؤلاء الاهالي عدد غير قليل من السيدات .

قالت احدهن وقد رأت العلم الاسباني في يد كولومب : هذا على ما يظهر اعلان على مطعم اسباني ..؟

ولم يعبا كولومب بشيء مما يرى ، لأنه كان مشغولاً بعهمة فاشلة هي ان يحفر بسيفه حفرة في الطريق ايركز فيها العلم ، وقد أبى الاسفلت ان يطاوع سيفه فانكسر السيف ، فاضطر الى الاكتفاء برفعه على معنى يديه ، وقد خلت اليد الاخرى من الحقيبة التي كان يحملها ، لأن موظف الجمارك كان قد صادرها .

وفي هذه الاثناء كان الامريكيون الذين يراهم في الطريق يتزايدون ، حتى بلغوا عشرات الالوف ، وهم اثناء سيره يأكلون ويشربون ويمزحون ولا يحسون انهم استكشفوا .

وقال كولومب في مرارة : لقد عبرت المحيط ، وخاطرت بحياتي ومع ذلك فلا يعبا بي اي انسان .

واستسمح كولومب منهم ، واقترب نحو صاحبه وقال في زهو : انا خرسنوف كولومب ! .  
- ماذا تقول ..؟

- خرسنوف كولومب .

فقال الرجل نافذ الصبر : « تهجّأ » .

فأخذ كولومب يتهمجي ، بينما قال الأمريكي :

- اظني قد تذكرت . هل انت تاجر آلات ؟ ..

قال كولومب وقد نفذ صبره هو الآخر : انا استكشفت امريكا .

- لانقل كلاماً مثل هذا ، لاريب انك تمنح . اي متى استكشفتها ؟

- الآن فقط . . . منذ خمس دقائق .

- هذه مسألة هامة ، ولكن ماهي مهمتك الحقيقية يا مستر كولومب

وقال كولومب بزهو وخيلاء : اظني استحق بمضى التقدير ؟ ..

فقال الأمريكي : ألم يكن في استقبالك احد ؟ . .

- كلا . ويظهر ان الأهالي لم يفظنوا لي أي آت لاستكشافهم .

- هل ارسلت اليهم تلغرافاً ؟ . . تقولا ؟ . . لقد كان الواجب

ان ترسلهم اولاً ، وتبعث بمئات من صورك انشرها في الصحف .

وتبعث من يسبقك بشائعات ، وتشنيعات وفكاهات ، هل تظن انها

الرجل ان في وسعك استكشاف أناس دون ان تنشر بينهم دعاية ؟ . .

- هذه ثاني مرة اسمع فيها هذه الكلمة . ماهي الدعاية ؟ هل هي

قربان وثني ؟ . .

نظر الأمريكي نظرة اشفاق الى الاجنبي ، وقال : كيف اشرح

لك الدعاية ؟ انك لا بد تعرفها فهي الدعاية . . اجد من واجبي ان

اساعدك فاني مشفق عليك .

وكان الرجل عند قوله ، فقاد كولومب الى فندق ، وقاده الى

غرفة في الطابق الثالث والخمسين ، وتركه وحده فيها على ان يعود اليه

بعد ان يصنع من اجله شيئاً .

وبعد نصف ساعة عاد ذلك الأمريكي يتبعه اثنان من

مواطنيه ، احدهما يضع « الملكة » بغير انقطاع ، والآخر يدير لولناً

في آلة تصوير .

ابتسم « اضحك » ارفع رأسك . التفت هكذا . ها ها ها .  
اضحك كما اضحك » واضطر كولومب الى الضحك بعد ان رأى حامل  
الآلة التصويرية يضحك مثل صهيل الحصان لكن ضحكات كولومب  
كانت هستيرية من شدة الغيظ .  
وانتهى الصور من لقط المناظر ، وجاء زمينه فألقى هذه الاسئلة ،  
واستعمل الاجابات :

- متى استكشفت امريكا يا مستر كولان ؟  
- اليوم واسمي كولومب .  
- انني لم احصل بعد على كثير من هذه الارض الخصبه ، لكي  
احكم عليها .

- قل لي يا مستر كولان ، ما هي الاشياء الاربعة الاولى انني  
استثارت اهتمامك في نيويورك ؟  
- من الصعب . . .

تأفف الصحفي ، فقد اعتاد عقد الاحاديث مع الملاكين ، ونجوم  
السينما ، والسياسيين ، ولكنه لم ير غيبياً بليداً مثل كولومب ، ففكر  
في تيسير الأمر بالقاء اسئلة سهلة :

- قل لي يا مستر كولان . ما هما الشيطان اللذان لم تجهبهما ؟ . . .  
فتهد كولومب فانه لم ير مضايقة مثل الخرج الذي هو فيه  
الآن وقال :

- الا استطيع ان اعمل شيئاً هنا بغير دعاية ؟ . . .  
فضاق صدر الصحفي ، وصاح : أنت مجنون يا مستر كولان ؟ .

اما كورت اكتشف امريكا بهذا شي ، غيرهم ، ولكن الشيء البام  
ان امريكا اكتشفتك . . . قل لي يا مستر كولان ما رأيتك في  
الفتيات الامريكيات ؟ . . .

ولم ينتظر الصحفي الأمريكي الجواب ، بل استمر يكتب وهو بين لحظة وأخرى بدخن أنفاقه ، ويتفح الأبخار في الهواء وينظر الى السماء ، كأنما يستلهمها الوحي ، وماود استئناف الأسئلة وتدوين الاجابات من عنده ، واخيراً صاح بحرفي « او كيه » ومد يده باصافحة كولومب زوبت على ظهره وخرج .

وقال الامريكي الآخر : الآن يا مستر كولومب تستطيع الخروج للتجول في شوارع نيويورك ، وقد تقضي السهرة في مسرح او دار السينما . الا تريد ان تعرف البلد الذي استكشفته ؟ لكن ليس لك ان تحصل العلم الاسباني . فتركه هنا .

واخطر كولومب المسكين الى السير بسرعة ساحبه في وسط الزحام ، فشمع بأنه كالتقطاة الماربه ، وبأنه يسمح بفرو معطفه جوارب الناس عن يمينه ، وعن يساره . وقضى السهرة ومد كذلك في اماكن لم يكن يتخيلها ، ثم عاد الى سريره في الفندق متعباً مجروداً ، فاستلقى على الفراش واستغرق في نوم عميق .

وفي صباح اليوم التالي ، ايقظه صديقه الامريكي المتطوع لخدمته واطلمه على عدد من جريدة جاء في صحيفتها الخامسة والتمنين ، حديث معه عدة صور له . وقرأ له الحديث ، فارتعج لهذا الحديث الطويل الذي نسب اليه فما هو بالذي قاله . ولا بالذي يقبهه . وكان نص ما جاء بالمقال : انه يكاد يحن حياً بالفتيات الأمريكيات . وانه يفضلهن على كل نساء العالم ، وانه مفتون على وجه الخصوص بالمشقة الحبشية « نيجوسى سبلاسي » وانه سيلتحق بجامعة هارفارد ليعلم الجغرافيا .

هذا النبيل من أهل جنوا أراد أن يفتح فمه بفتحاً ، وان كان وفداً من الأمريكيين والامريكيات دخل حفاة ، ولم يكلف احد منهم نفسه مشقة الدعاء للبر وتوكيد الاتيكيت . بل توخوا الغاية مباشرة بغير مقدمات .

وكانت الدعاية قد سرت بعفولها السحري العجيب ، فجاء هذا الوفد من مندوبي شركات الأفلام ليعرض على كولومب الاشتغال بالتمثيل في هوليدود .

قال متحدثهم : ان الفيلم الذي نريد ان تشترك فيه تاريخي هو فيلم « امريكو فسيبوتشي » وستمثل أذت دور امريكو انه سينجح نجاحاً عظيماً فهل توافق ؟ اننا بالطبع سنتحدث طويلاً عن التفاصيل ومعنا السيناريو ستعرضه عليك لقد اقتبسنا معظم الحوار من رواية الكونت مونتو كريستو لاسكندر ديماس .

وان هذا غير مهم ، فالمهم بالموضوع هو اننا اقتبسنا حوادث القصة ، وصورنا مشاهدنا فجاءت مطابقة لقصة استكشاف امريكا .

فتمايل كولومب وتماهل غيظاً وهو يتم بصوت غير واضح العبارات واغلب الظن انه كان يبهل الى الله ، غير ان أحدهم تابع الحديث قائلاً :

- وهكذا سيتاح لك القيام بتمثيل دور « امريكو فسيبوتشي » الذي تعشقه « ايزابيلا » ملكة اسبانيا ، وتتفاني في حبه ، أما هو فلا يبادلها هذا الحب ، لأنه مغرم الى حد الجنون بالاميرة الروسية « جريشكا » غير ان الكردينال « ريشليو » اغرى « فاسكودي غاما » فدبر الامر بمعونة « الالايدي هاملتون » ولذا تم ارسالك الى امريكا . انها لعبة متفق عليها ، ومؤامرة جهنمية نسجت خيوطها حولك . ولذا تشتد المخاطر وتتنشط المغامرات ، فتشترك بالعراك مع قراصنة البحر ، وتقاتل كالأبطال الصناديد وتستغرق مشاهد القتال التي ستظهر بها حول ثلاثمائة متر من المشاهد المثيرة المتتابعة . من الممكن ان تجد صعوبة كناية في قيامك بدورك التمثيلي ، ولكن هذا غير مهم .

فصاح مستر كولومب من الغيظ بصوت اجش :

- أين المهم إذن؟ ..

- الدعاية ؟ الدعاية فقط هي اساس كل مشروع ، فهي التي تعرف الجمهور المشاهد عليك في طول البلاد وعرضها . فزيادة شهرتك ويسطع اسمك في الآفاق ، فتقبل على مشاهدتك الجماهير الشمسية ، تشاهد « فلمك » المليء بالمخاطر والمغامرات العنيفة ، وهكذا يفخرون بك كفاتح عظيم ومستكشف خطير ، بلغ من العلم شأواً عظيماً ، جاء يقاتل القراصنة في البحار ، ويعرض نفسه للمخاطر والموت في سبيل اكتشاف بلاد امريكا . ولكن هذا ليس بذى أهمية . فالشيء المهم هو قتالك مع القراصنة ، قتال مستميت تستعمل به الرياح والقنوس ، والنبال والسيوف ، وان هوايود بلاد السينما غنية كثيراً في مثل هذه المعدات الحربية المبهمة اظهور افلام تمثل العصور الوسطى . وان هذا الدور العظيم الذي ستلعبه سيجبرك على حلاقة لحيتك ، اذ ليس من لزوم للحية وللشاربين ، لأن الجمهور المشاهد قد ملّ من اللحية والشوارب بقدر ما شاهدتها في الافلام الروسية .

ولهذه الغاية يجب ان تخلق ، ثم يجب ان توقع اننا عقد اتفاق لمدة شهر ونصف الشهر لننجز التصوير . هل توافق على ذلك ؟ ..

فأجاب خرستوف كولومب وقصد غره العرض : « اوكي » أعني اتفقنا .

وحين اوى مسير كولومب الى غرفته في ساعة متأخرة من الليل جلس الى طاولته يدون تقريراً مفصلاً عن رحلته التي تكلمت بالانجاح باكتشاف بلاد امريكا الجديدة ، يرسله الى جلالة ملكة اسبانيا ايزابيلا .

« لقد جلت الديار والامصار ، والاقية الاهوال في الاسفار والبحار ، وجبت الآفاق في الطول والعرض ، ولكن عيني لم تقع على ما وقعت عليه من اشياء ، واذني لم تسمعاً مطلقاً بقرائب مما سمعت عن عجائب الشعب الامريكي .

ان الاميركيين لا يحسنون احتمال الصمت والسكون ابداً ، ولذا فقد أنشأوا الشوارع الفسيحة في سائر ارجاء المدينة . ايتلمها ويستمعوا بالصخب والضوضاء حسب هواهم . وهذه الشوارع مرتفعة جداً ، ومرتكزة على قوائم من حديد ، تجري عليها قطارات سريعة التنقل ، لا يقف سيرها ولا يخدم ضوضاؤها وصخبها ليلاً ونهاراً ، ولذا اصبح الصخب والضوضاء شيئاً غير مقلق ، بل شيئاً محبباً الى قلوب الاهلين لا يؤذي سمعهم بقدر ما اعتادوا عليه .

لم اتمك حتى الآن رغم تعمقي في دراسة الاشياء ، ومعرفتي بأحوال الاحوال ان اقرر اذا كان الشعب الاميركي من الشعوب الذين يأكلون لحوم البشر . ولكن من الثابت الواضح انهم يأكلون لحوم الكلاب انطبوخة . وقد شاهدت بعيني رأسي أناساً عديدين يأكلون لحم الكلاب ويتذوقون فيما بينهم عن طيب مذاقها وعن فوائد لحمها الصحي .

ان رائحة البنزين ، رائحة تفوح من وجه كل انسان ، على غرار ما تعبق الروائح العظيمة من شعوب باريس ، حتى ان جميع الشوارع غارقة بهذه الرائحة اللينة ، التي تعاف الانوف تنشقها ، ولكن على ما اظن ، ان انوف الاميركيين لا تزعجهم هذه الرائحة الكريهة والا لما اقبل عليها جميع الفتيات الحسنات ، فانهن يتمطرن بالبنزين ولا يتضايقن منه مطلقاً .

اني اؤكد ان الاميركيين اناس زنادقة وكفرة ، وهذا ما اوضحه لي تعداد اديانهم ومذاهبهم ، وكثرة آلهتهم . فقد نشروا اسماء اربابهم على لوحات كتبت بأحرف من نار ونور ، وعلقت معظمها فوق سطوح المباني المرتفعة ، وعلى جدران المنازل التي سودتها سحب الآلات والمصانع ، وعلى ابواب المحلات التجارية ، ويأوح لي ان خير

معبود عندهم والاكثر انتشاراً هو ربهم الاعظم ، وعلى ما اذكر اسمه .  
يدعى « كوكا كولا » . وهكذا فثمة يعبدون رب الصيدلة واسمه  
« السودا » ورب « الكافريا » وخير رب يعبدونه بكثرة متزايدة هو  
الاله « فورد » صاحب رائحة البنزين ، ويبدو انه مثل زيوس آله  
ليونان بالنسبة اليهم .

ان الاميركيين شرهون بغرابة هائلة ، منهم يتصفون دائماً وفي  
الشوارع اكلة لا طعام لها ولا مذاق يدعونها « الملكة » .

ومن سوء الحظ ان الحضارة لم تجد مكانها الاثني في نفوسهم  
فاذا قورن فلأميركيون بالخطوات الجنوبية التي انطلقت بهما الحياة  
الاسبانية الحديثة لوجدتهم بطيئين جداً ، بل ان السير على الاقدام  
يبدو وسيلة سرية جداً ، ولذا فقد استعملوا عوضاً عن ذلك عدة اتمية  
مزوجة ببعضها تسير بسرعة وتخترق الشوارع ويسمونها « سيارات »  
وهكذا تتركهم انهم يخطون بسرعة فائقة ، ويظنون ان سرعتهم هذه  
توصلهم الى السمادة .

وان الذي انهاني واطار اي الاحتفالات التي يقيمونها في كور  
مساء في مكان يسمونه « بردواي » فيتوافدون عليه جماعات ويتطاحنون  
ويتسابقون ، وكل ذلك كي يجتمعوا في منزل فسيح الجنبات يدونه  
« بالمرح الفكاهي » .

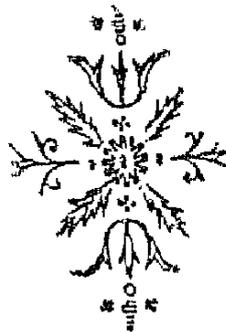
وهناك يعتمد بعض نساء الوطن على منحة عالية اسمها « الممرح »  
يخلصن عن اجسادهن ثيابهن وذلك على اصوات قرع الطبول ، وقسم  
شاهدت مثل هذه المشاهد فقط في بلاد البرابرة المحمجية .

وحين يرتفع في ارجاء المنزل اصوات « الكتلاريفيت » الحرسية  
يختلط الحابل بالنابل ، يصفقون ويلوحون بأيديهم بالهواء كالاطفال .  
ولا تسكاد النساء يتخلصن من ملابسهن تماماً ، والمواطنون يتحدثون بهر

بعيون ظمأى شرهة شرسة كالذئاب حين تحوم حول الفريسة ، تشعر  
النساء بحمى الأجساد الملتهبة ، والانتفاخ المتصاعدة فيسدلن الستار  
لسبب اجبهله ، وعندئذ يهب الجميع وهم يتسممون ويقهقهون ويعودون  
ادراجهم من حيث اتوا .

هذا ما استطعت ان اخلصه لك عن مشاهداتي حالياً ، وسأوافيك تباعاً  
عن الأشياء المرموقة التي اراها في هذه البلاد العجيبة ، والتي لا تخاطر على بال  
احد منا في اسبانيا ، حتى ولا على بال الابالسة والشياطين .

وختاماً ابلغك تحياتي ، مع العلم ان حياتي في امان على رغم تطاحن  
الامير كيين الذي اشعر به ، فهو بلا ريب تطاحن مبعثه الحب والخبز . تطاحن  
قلوب اقفرت من الحنان والعطف وحل عوضاً عنها الدولار النحاسي  
والتنازع للبقاء .



## الحب والخبز

### عن تشخوف

في يوم ما كانت « باشا » لا تزال في شرح صباحها ، تفجر حيوية وشباباً ، ونضارةً وجمالاً ، وكان لا يزال صوتها أكثر قوة وحناناً ، وهي تجلس على أريكة وثيرة والى قربها خليلها وعشيقتها « نيقولا بتروفتش كوابا كوف » وذلك في ردهة منزلها الصيفي . وكانت أفحسات الجو حارة الى درجة لا تطاق وكانت

العاشقان قد انتهى من تناول غذاءها بعد ان شربا من الخمر زجاجية كاملة، وقد اخذا يمشران بالضيق ، بالضيق الشديد وينظران اللحظة التي تخف فيها وطأة حرارة النهار ، ايخرجا معاً في نزهة ، وعلى غير انتظار منها ، سمعا طرقات تدوي على باب المنزل ، ولما كان كوابا كوف قد جلس خالماً سترته ، هب من مكانه وهو ينظر الى « باشا » في حيرة وتساؤل ، دون ان يفوه بكلمة غير ان الغانية « باشا » تلمت لما انتابه من حيرة ، فقالت :

- لا داعي للحيرة ، اغلب الظن ان الطارف ساعي البريد احدى زميلاتي .

ولم يكن ( كوابا كوف ) يهتم بأن يراه ساعي البريد أو أن

تراه امرأة من رقيقات ( باشا ) على مثل هذا المظهر ، ولكن من باب الاحتياط جمع ملابسه وانجه الى الغرفة المجاورة ، بينما خفت (باشا) الى الباب ، ولم تكده تفتحه حتى عرّتها امارات الدهشة والحيرة . ان المائل الآن امامها لم يكن ساعي البريد ، ولا فتاة من زميلاتهما بل انها امرأة مجبولة ، صبية وحسنة ، ترتدى ثيابا تم على ملابس العائلات الشريفة ، وتجمع تلك الظواهر على انها احدي اوائك السيدات .

كانت تلك المرأة الغربية مكفهرة الحيا ، شاحبة ، وتنفس في عسر وثقل كأنما هي قد صعدت ركضا درجات سلم المنزل الطويل . سألتها باشا : ما الأمر يا سيدتي !

فم تحر السيدة جواباً في الحال ، بل تقدمت خطوة الى الامام وراحت تميز اثاث الغرفة ومحتوياتها ، ثم اتخذت مقعداً لها جلست عليه ، جلسة المضني المتعب الذي يئس بالراحة ، أو كالمريض الذي لا يستطيع الوقوف على قدميه .

وابتدأت شفتاها تتراقص في ارتجاف فترة طويلة وهي تحاول عبثاً ان تتكلم ، واخيراً قالت وهي ترفع عينيها الكبيرتين المحمرتين من اثر البكاء نحو باشا : هل زوجي هنا ؟ ..

فهمست ( باشا ) في ذعر وقد صدمتها المفاجأة حتى جعلتها تستحيل الى قطع من الثلج .

- زوج ؟ وكررت تسأؤلها مرة اخرى وقد اخذت ترتجف ؛  
أي زوج ؟

- زوجي انا . نيقولا بتروفتش كوليها كوف ،

- لا ... لا ... يا سيدة .

وانقضت فترة من الصمت ، وموت السيدة بحندليها على شفتيها

الشاحبتين عدة مرار لتخفي ارتقاصها وارتجافها ولتتمكن بتلك الوسيلة من تهدئة اعصابها الثائرة ، بينما وقفت « باشا » امامها بغير حوالذ كأنها عامود من رخام ، وظلت تحديق النظر اليها في دهشة وجزع .  
وعادت المرأة الى الحديث ، وكان حديثها في هذه المرة حازماً وقويماً ، وكانت تبسم في سخرية أليمة .

- إذن فانت تقولين انه ليس هنا ؟..

- أنا ... أنا لا أعرف عن أي شيء تسألين .

فرمقتها المرأة بنظرة كراهية ومقت واشتمزاز وهي تقول : سافلة .  
حقيرة .. منحطه .. نعم نعم .. انت سافلة وحقيرة ، وانه ليس لي  
ويسعدني ان اقول لك ذلك في وجهك .

وشمرت « باشا » ان هذه السيدة ذات الثوب الاسود . والعينين  
الغاضبتين والاصابع الرقيقة ، تخفي سرآ رهيباً مروعاً غير منتظر .  
وشمرت في حضرتها وامامها بشيء من المذلة والمهوان ، واحست  
بتجمل شديد من مظهرها وخاصة منظر شفيتها السميتين المصبوغتين  
باللون الاحمر الفاقع ، ومنظر انفها الذي تبدو فيه آثار مرض الجذري  
وكتلة الشعر المنسدلة على جبهتها .

وحيل اليها انها لو كانت اقل سمعة ، ولو لم يتتلى ، وجهها  
بالساحيق ، ولو لم تكن تلك الخصلة من الشعر مدلاة في مقدمة رأسها  
لاستطاعت ان تخفي الحقيقة المرة وهي انها امرأة « غير محترمة » وما  
شمرت بذلك الخوف وذلك الرعب اللذين تشعر بهما الآن . ولو قفت امام  
تلك المرأة الجبولة وقفة اخرى غير وقفها هذه .

- أين زوجي ؟.. ان وجوده هنا أو عدم وجوده أمر لا  
يعنيني في الواقع وما جئت من اجل هذا . ولكن يجب ان اقول لك ان  
النقود اختفت وانهم يبحثون الآن عن نيقولا بتروفتش .

ونهبضت السيدة من جلسها ، وراح يدرع العربة في اضطراب  
وكانت « باشا » قد بدت عليها علامات الرعب الذي شل تفكيرها حتى  
لم تعد تفهم شيئاً .

وعادت السيدة الى الحديث .

- انهم سيخبرون عليه اليوم ويقتلونه ، وسيزجون به في السجن .

وهنا ندت عنها زفرة كأنها صرخة صادرة من أعماق القلب .

- اني اعرف من جلب عليه كل هذا .. اعرف من وضعه في  
هذا الموقف الحرج . . مخلوقة كريهة وضيفة . . مخلوقة فاجرة وبائعة  
سرام مرتزقة .

وكانت السيدة تنطق بهذه الكلمات ، بينما تنقلص شفاتها وانفها  
تقلصات الاشمزاز ، واستعرت في حديثها :

- اني في مأزق حرج أليم ، ولا معين لي في مصابي ، هل  
تسمعين أيتها المرأة الوضيعة ، اني دون معين ، وأنت أقوى مني ،  
ولكن هناك واحد سيعينني وينصرتني عليك ، هناك واحد سيقف في  
عني وينقذني واطفالي من شر موبقاتك . . انه الرب الذي يسمع  
ويرى .. انه ارحم الراحمين وأعدل العاديين ، وسيعاقبك على كل دمة  
ذرفت عيناى ، وعلى كل ليلة مسهدة قضيتها في فراشي أتألم حتى مطلع  
الفجر .. سيحين الوقت الذي تضطربن فيه الى التفكير في امري  
وقبما سيبته لي .

وعاد الصمت مرة ثانية وعادت السيدة الى السير في الغرفة وهي  
تدعك يديها بينما اخذت « باشا » تنظر اليها في وجوم ، وكأنها  
تنظر الى الغضاء العريض . انها لا تدرك شيئاً ، ولا تفهم شيئاً ،  
غير انها تشعر بان شيئاً عظيماً سيحدث .

- اني لا ادرك شيئاً عما تحدثين به .

قالت ذلك ثم انفجرت باكياً .. فلم تكذ السيدة تسمع قولها  
هذا حتى صاحت بها في عنف ، وقد لمع بريق الغضب في عينيها :  
.. انك تكذبين .. اني اعرف كل شيء ، اعرف انه قضى ايام  
الشهر الاخير كلها في صحبتك .

.. وماذا في ذلك ؟ أي ذنب لي في ما قد حدث . ان رجلاً  
كثيرين يزوروني ، ولكني لا أرغم احداً على المجيء إلي . انه حر  
في اموره ويستطيع ان يتصرف بما يرضيه .

.. قلت لك انهم اكتشفوا ضياع نقود . انه اختلس النقود من  
المكتب الذي يعمل به . فعل ذلك من أجل ... انك امرأة لا مبدأ  
لك ولا عقيدة ، انك تعيشين لغاية واحدة وهي الحاق الأذى بالآخرين ..  
هذه هي غايتك ومهمتك في الحياة ، غير ان الانسان ليس بإمكانه ان  
يتصور انك انحدرت ونزات الى المستوى السوي الذي يجردك من كل  
امر من اثار المشاعر الانسانية . اذا اعتقل زوجي وحكم عليه بالسجن  
الرهيب ، ماذا تكون النتيجة لي ولأطفالي ؟ .. انا سنموت جوعاً ..  
الاطفال وأنا .. افهمي ذلك .. ومع هذا فهناك فرصة لانقاذنا من الدمار  
والعار ، اذا قدمت لهم المئائة روبل المفقودة اليوم ، فانهم سيمتروا  
وشأنه . انها مئائة روبل .

وهمست ( باشا ) في رقة ، وفي صوت خفيض قائلة : مئائة  
روبل ، انا .. انا لا اعرف . ولم آخذ هذا المبلغ ؟ ..

.. اني لا اسألك مئائة روبل . انك لا تملكين نقوداً ، وانا  
لا اريد ولا اقبل نقودك ولكنني اسألك شيئاً آخر ان الرجال يقدمون  
عادة للنساء امثالك هدايا ذات قيمة . ردي الي الهدايا التي منحها  
زوجي لك .

فصاحت باشا في صوت منتحب قائلة :

- سيدتي .. انه لم يقدم لي هدية من أي نوع .

- إذن فأين ذهبت نقوده ؟ لقد بدد ماله ومالي ومال الآخرين؟  
أين ذهب كل هذا ؟ استمعي . اني ارجوك ، لقد ذهب بي الغضب  
بعيداً واقبتك بأسوأ النعوت ، ولكنني اعتذر . انك تكرهيني ويجب  
ان يكون ذلك .. اني اضرع اليك ان تردي الي تلك الاشياء !.

وهزت باشا كتفها هزة العليم ، أو من يدعي الفهم وقالت :  
آه .. لقد كنت افعل ما تريدن مع بالغ سروري ، ولكن يشهد الله  
من انه لم يقدم لي اية هدية من اي نوع كما قلت لك . صدقيني وثقي  
بصفاء ضميري ..

ولكنها عادت تقول :

ومع ذلك فانه قدم لي هديتين تافهتين سأرجعهما اليك الآن اذا شئت .  
وجذبت احد ادراج خزائنها القريبة منها ، ثم استخرجت منه  
اسورة جوفاء وخاتماً ذا حجر من الياقوت ، وقالت وهي تقدمها للسيدة :  
- هاها يا سيدتي .

فألقت السيدة نظرة على يد الغاية وهي تقدم هاتين الهديتين  
التافهتين ، واحمر وجهها غضباً ، وشعرت انها اهينت اهانة كبيرة .

- ماذا تعطيني ؟ اني لا اطلب احساناً ، ولكن اطلب ما لا  
يخصك .. ما اخذته استقلالاً ونهباً وسلباً من زوجي .. فلك الرجل  
الضعيف الارادة الحقير النفس . يوم الخميس الماضي ، عندما رأيتك  
مع زوجي على شاطئ البحر كنت تترينين بسوارين كبيرتين وعقداً  
ثميناً .. لا فائدة إذن من تمثيل دور الحمل البريء امامي . اني اسألك  
الامرة الاخيرة ، هل انت معيدة الي الاشياء . أم لا ؟ ..

- انك غريبة الاطوار يا سيدتي . انك غريبة الاطوار . . .  
اقدم لك واؤكد لك انه باستثناء ذلك السوار الاجوف وذلك الخاتم

الصغير لم احصل على شيء من نيقولا بتروفتش هذا . . انه لا يقدم لي الا الكعك المحلى !!

- الكعك المحلى .. ان الاطفال في المنزل لا يجدون ما يأكلون وانت هنا تأكلين الكعك المحلى ..

ولما لم تتلق جواباً على سؤالها ، جاست على اقرب مقعد وظلت تنظر الى الفضاء وهي تحدث نفسها :

- ماذا افعل ؟ اذا لم احصل على ثمانمائة روبل فانه ينتهي وانتهي لنا والاطفال وتكتب علينا المذلة الى الابد . هل اقتل هذه المرأة الوضيعة أو اجثو على ركبتي امامها ؟ ..

وأخذت تمسح وجهها في عنف بتنديلها وهي تبكي واستمعت باشا في خلال عويل السيدة قولها لها :

- اضرع اليك .. انك ترين انك حطمت حياة زوجي وهدمته انقذيه . انت لا تحسين نحوه بماطفة ، ولكن الاطفال .

وتخيلت ( باشا ) منظر الاطفال الصغار ، وقد وقفوا في الشارع بكون من فرط الجوع ، فبكت هي الاخرى .

واتجهت نحو السيدة وهي تقول :

- ماذا استطيع ان افعل يا سيديتي ؟ تقواين اني امرأة وضيعة وانني قضيت تلى نيقولا بتروفتش ، وأنا اؤكد لك امام الله جـل خلاله ، انني لم آخذ شيئاً منه .. امرأة واحدة من زميلاتي تعرف عاشقاً غنياً .. اما نحن جميعاً ، باقي الفتيات ، فانا نعيش من اليد الى الفم على الخبز والملح . . ان نيقولا بتروفتش رجـل متعلم ولذات رحبت بمقدمه .

- انني اسالك الاشياء .. اعطيني الاشياء .. انني ابكي .. انني احط من قدر نفسي واذا شئت ، فانني اسجد امامك .. اذا اردت ؟ ..

وما كادت « باشا » تستمع الي تلك العبارة الأخيرة حتى صرخت  
صرخة الفزع ومدت يديها في الهواء كمن يبعد خطراً . . احست ان  
تلك السيدة النحيلة الشاحبة التي عبرت عن نفسها ذلك التعبير الرائع ،  
الذي يشبه تعبير الغناء الموهوب على خشبة المسرح ، ستجتو حقيقة  
امامها وستسرع كبرياءها وعظمتها في التراب امام فتاة من بائعات الغرام  
ان « باشا » لا تتصوره واذا تصوره فانها لا تطيقه . . فصاحت من  
اعماقها وهي تمسح دموعها :

حسناً يا سيدتي . . سأعطيك الاشياء . . . سأبذل كل ما استطيع  
ولكن ما سوف اعطيك لم يقدمه زوجك ، بل قدمه رجال آخرون  
جاؤا يطلبون الحب ، وكنت اطلب الخبز . هل لك ان تعرفي هذا  
يا سيدتي . . ؟

وجذبت « باشا » درجاً آخر واستخرجت منه عقداً ماسياً  
وآخر من العقيق وبعض خواتم وأساور وقدمت ذلك كله للسيدة التي  
نظرت اليه نظرة المدقق الخبير .

وقالت « باشا » : خذها اذا شئت ، ولكن لم آخذ شيئاً من  
زوجك . . خذها وكوني انت غنية ودعي الفقير لي .

فعلت ذلك لتتحول بين السيدة وبين السجود امامها . واستطردت قائلة :  
- واذا كنت . . اذا كنت زوجته حقاً فيجب ان تحتفظي به  
لنفسك . . من حقي ان اقول هذا فاني لم اطلب اليه ان يجيء الي .  
وعلى الرغم من دموع « باشا » المنهمرة ، فان السيدة قالت وهي  
تنظر الى الحلي :

ليس هذا كله عندك . . انها لا تساوي خمسمائة روبل .

وعادت « باشا » الى جذب الدرج واخرجت علبة سجائر وزراً

فهيماً وقدمتها للسيدة وهي تقول : لم يبق لدي شيء . . . في استطاعتك ان تفتشي بنفسك .

وتناولت السيدة الجواهر والحلى بيدين مرتجفتين ووضعتهما في منديلها ونهضت من مكانها وفي سكون ، ودون ان تنبس بكلمة واحدة مضت لا تلوي على شيء .

وفتح باب الغرفة الاخرى ودخل « كوابا كوف » وكان شاحب اللون ، بادي الاضطراب ، وكان رأسه يترنح في عصبية عنيفة كأنه ابتلع شيئاً مرأً وقف في حلقه . وكانت الدموع ظاهرة في عينيه . ورأته « باشا » فسألته في ألم بليغ :

.. ماذا قدمت لي من الهدايا يا نيقولا ؟ ..

.. هدايا او غير هدايا ، فهذا لا يهم الآن .

وهز رأسه في عنف وهو يقول :

.. يا الهي . . لقد بكت امامك . . لقد تواقضت وانت  
كبرياءها ..

.. اسألت ان تجيب . اي هدايا قدمت لي يا نيقولا بتروقتش ؟ ..

.. يا الهي . . هي سيدة محترمة . . سيدة متكبرة . . عيناك

تدهرت .. لقد كانت علي وشك السجود امام بنت من بنات الطوي . .  
وانا الذي اوقفها هذا الموقف .

واسند رأسه بيديه ثم اجلس في البكاء .

.. اني لن اغفر هذا لنفسي . . ان اغفر لنفسي . . استعس

عني . . ابتعدني ايها المخلوقة النوضعة . . واخذ يتقهقر ويتعدأ عن  
« باشا » وهو يبعد عنها بذراعين ترتجفان .

.. كانت على وشك التسجود امامها .. امامك .. امامك انت ..  
يا إله السموات !

وارتدي ملابسك في سرعة ثم دفع « باشا » عنه ، وخرج  
سرعاً كالسرع بسموم الافاعي .

وارتبت « باشا » على احد المقاعد ، وراحت تبكي بصوت  
مرتفع ، انها تبكي اشياءها الضائعة مع كبرياتها .. وهمت بالمر  
وأسي : ما اهرط الثمن ؛ ثمن الحب والخير .

## الطاذبون

### عن مابيل زوسنكو

انقضت ثلاثة اعوام بطولها لم يسمع في خذلماه توماس هو كوف ،  
بنة أخبار عن ولده ، وعلى غير انتظار وحالته حوالة بريدية بمبلغ خمسة  
روبلات مرسله اليه من ولده المقيم في موسكو .

تناول توماس الحوالة بين يديه واخذ يميزها وقد جات برأسه  
الخواطر حول مضمونها ، وراح يحدث نفسه :

... عظيم جداً يا توماس ، ان ولداً غير وندي لكان قد ارسل  
الى والده ثلاثة روبلات وقد كان يظن ذلات الوالد المفرور ان ولده  
ارسل اليه مبالغاً هائلاً . اما ولدي فقد ارسل لي ما قيمته خمسة  
روبلات ، خمسة روبلات كاملة ، ماذا يحدث بحق الشيطان لو  
صرفت منها روبلاً او اثنين في شرب الفودكا ؟ .

وانتم توماس بحمام بديع ، ثم ارتدى قميصاً نظيفاً وسكب في  
حلقه نصف زجاجة من الفودكا ، ثم ركب عربته واتجه نحو  
مركز البريد .

وفي الطريق كان توماس يحدث نفسه :

... تصور ! تخيل . خمسة روبلات . خمسة روبلات كاملة .

فكر ماذا حدث في الدنيا . لقد اتقضى عهد القياصرة ، وذهب الى غير ما عودة . . لقد اصبح الفلاح بعد اليوم رجلاً موفور الكرامة ذا سطوه وقوة وكلمة مسموعة . الآن فقط . . الآن فقط ومن يدري ربما كان ولدي الآن احد حكام المدينة والا لما القى بخمسة روبلات الى والده دفعة واحدة . دفعة واحدة يا ناس ! . ولكن من يدري ايضاً قد يكون ما يقال عن سطوة الفلاح غير صحيح ولا ينطبق على الواقع ، ماذا يحدث لو كان كل ما قيل عن الفلاح مجرد اكاذيب ! .

ربما كان ولدي خادماً في فندق او شيئاً قريباً من هذا .  
ووصل توماس الى مكتب البريد ، واقترب من نافذة خزانة الدائرة ، حيث قدم حوائته الى الكاتب وهو يقول :

- دراهم ؟ دراهم . نقود . . اموال . يجب ان احصل على اموال ارسلها اليّ ولدي لاستهبا من هذا المكان .

فتناول الكاتب الحوالة وبحث في سجله قليلاً ، ثم قدم لتوماس ورقة مالية واحدة من فئة الخمسة روبلات فتناولها توماس في سرعة وراح يقلبها بين يديه ويتميز خطوطها ورسومها وهو يقول : تماماً ! .  
ولكن أليس هناك خطاب من ولدي ؟ .

فلم يحرر الكاتب اى جواب ، بل ترك مكانه واتجه الى داخل المكتب .

وراح توماس يفكر ثم قال بصوت مسموع :

- ليس من تحرير ، ولكن ربما كتب إلي فيما بعد ، ان الانسان يستطيع ان ينتظر تحريراً وهو مطمئن ما دام يملك مثل هذه الثروة بين يديه .

وقرب توماس الورقة المالية من وجهه وعاد يتأملها في دهشة

واستغراب ، وما كاد يفعل هذا حتى عاد الى النافذة يضرها بيده في  
عنف وهو يصيح :

.. هيه ! يا عم ، اي فئة من النقود اعطيني .. انظر !..

فاجاب الكاتب في حيرة : اي فئة من النقود ؟ ..  
انها من فئة الخمسة روبلات . انها نقود .. . نقود جديدة  
بطبيعة الحال ..

- نقود جديدة ؟ قد تكون نقوداً مزورة . . ربما حدثتك  
نفسك ان بإمكانك خداع رجل شرب قليلا من الفودكا ! .. هه ..  
والقى توماس نظرة اخرى على الورقة وهو يقلبها بين يديه ويصوبها  
ناحية الضوء المنبعث من النافذة ثم قال :

- فلنتفاهم في هدوء ، صورة من هذه المرسومة على النقود ؟  
انها صورة فلاح أليس كذلك ؟ .. نعم انه هو الفلاح انا متأكد من  
ذلك تأكدي من وجودي ومن نفسي . بل اني اقسم لك بالله انه  
هو الفلاح . ولكن انتظر لحظة .. حسناً .. حسناً .. اذن فقد  
كان ما يقوله الناس صدقاً وحقاً ولم تكن الكاذب شائعات .. ان  
النقود نفسها فيها ملامح من الفلاح .. انها حقيقة اذن . لقد اصبح  
الفلاح ذا سلطة وذا سلطة .

ثم عاد الى النافذة وهو يقول :

- يا عم معذرة ولا تؤاخذني .. صورة من هذه التي ترى  
على النقود ..

فاجابه الصراف متذمراً بقوله :

- انصرف ايها الرجل .. لقد استأنت نقودك فانصرف الآن ..

عم نتكلم ؟ .. وايه صورة تقصد ؟ اين هي تلك الصورة ؟ ..

- على الورقة المائية .

فنظر الصراف الى الفلاح في غيظ وهو يقول :

- انها صورة الفلاح .. انت .. جلالتك مصور على ورقة النقد في مكان القيصر .

- صورة الفلاح ؟ مكان القيصر !.. هذا جميل .. جميل جداً .  
هيه يا عم هكذا تسير الامور اذن ، قبحاً لي ما اجهلي .. أتسير  
الامور هكذا ولا ادري ، الفلاح في مكان القيصر واني لا ازال  
مستغرقاً في خدمة الحقل وحرث الارض .. ان فلاحي قريننا لا يعرفون  
قيمة ما وصلوا اليه وهم مستغرقون كذلك في فلاحه الارض وحرثها  
ليؤمنوا الخبز .. هيه يا عم .. أتعلم ما هو الخبز ؟ .. انه الخبز !..

وضحك الصراف ، ولكن توماس عاد يقول :

- انها عدالة الله .. لا استطيع ان ادعي اني لم اسمع شيئاً  
عن الموضوع من قبل ، فلقد سمعت قبل الآن اقوالاً على افواه بعض  
الناس تزعم ان الفلاح وصل الى الحكم والى السطوة والسلطان وان  
كثيراً من علامات الاحترام تقدم اليه من الجميع ، ولكني لم اكن  
اظن ان التنفيذ سهل كماقول . وكنت اجد صعوبة في الحكم على ما  
اسمع . هل هو حق أو هو كذب . ولكن في حالة وجود صورة  
الفلاح على ورقة النقد .. معناه : ان ما قالوا لم يكن محض كذب .

وعاد الصراف يقول :

- من الخير ان تذهب الآن . انك تعرقل اعمال الناس هنا .

- الآن دعني امتع الطرف بالورقة التي تحمل صورة الفلاح . .  
اقسم لك يا عم اني لم احب القياصرة كما احببتهم الآن .. انها عدالة  
الله .. عدالة الله ..

ولكن الصراف لم يجب على هذا القول ولم يعلق عليه بعبارات الاعجاب  
كما كان ينتظر ، فنظر اليه العم توماس نظرة يأس وخرج من المكان .

وعاد الى التفكير ، والى التحدث الى نفسه :

- فكر في هذا يا توماس .. صورة الفلاح على اوراق النقد ..  
التشريعات الملكية للفلاح ! ..

واستقل عربته الخشبية الصغيرة ، ثم الملب ظهر جواده بضربة  
من سوطه ، ولكنه ما كاد يصل الى اطراف الغابة حتى دار بعربة  
دورة كاملة عائداً الى المدينة .

وظل سائراً الى ان توقف عند محطة السكة الحديدية ، فربط  
من العربة ، وربط الجواد عند سورها .

وكانت غرفة الانتظار خالية ، وكان على بابها رجل ذو قبعة  
سلساء قد استسلم للتوهم على مقعد خشبي واسند رأسه الى كيس من  
الخيش مملوء بالحنطة .

ابتاع توماس قليلاً من الفستق وجلس يأكاه الى جوار النافذة  
وبعد دقيقة أو دقيقتين نهض من مكانه واتجه قاصداً الى الرجل النائم  
ثم صاح به قائلاً :

.. هيه .. ايها القبعة .. انهض وافصح لي مكاناً على القوم  
اريد ان اجلس الى جوارك .

وفتح الرجل ذو القبعة العيون ونظر الى توماس كالشجرة  
واعتدل في جلسته ثم ثاب وبصق على الارض ، وبدأ يلف سيجارة ..

وجلس توماس الى جانبه وهو يدفع كيسه في عنق بينه وبين  
ينفث قشر الفستق في احتقار .. كان يشكر بونه وبين نفسه :

.. انهم لا يقولون كذباً .. ان الجميع يحترمون الفلاح .. انهم  
يستمعون الى الفلاح . في الايام الغابرة ربما ضربني رجل في وجهي  
لغير سبب .. اما الآن فانهم جميعاً يقدمون لي العانة .. انهم يخشونني  
انهم يخافونني .. فكر في هذا يا توماس .. فكر كيف حدث كل

هذا في هدوء ، حتى اتى لم لاحظ ولم ادرك كيف حدث .  
ونفض توماس من مكانه على المقعد وذرع غرفة الانتظار في  
تنظمة واطمئنان وفي رضاء . ثم خرج متجهاً الى نافذة بيع التذاكر .  
قال بائع التذاكر : الى أين ؟ ..

.. ماذا تقول ؟ ..

.. الى أين تريد التذكرة أيها الاحق ؟ ..

.. أريد ان تلقي نظرة داخل المكان الذي تباع فيه التذاكر  
لأرى ماذا يشبه .. هل تستطيع ان افعل ذلك ؟ ..

.. اذا كنت لا تريد ابيع تذكرة فلا داعي لالقاء اوساخك  
في الداخل .

.. أوساخ ! من أنت حتى توجه إلي مثل هذا الكلام ؟ ..  
فصاح الكاتب غضباً :

.. انت مجنون سكران .. من أنت حتى تلقي نظرة داخل مكاني ؟ ..  
فانحنى توماس نحو النافذة ، وبسقى نجأة في وجه الكاتب ، ثم اتجه  
مسرعاً الى غرفة الانتظار .

وقبضوا عليه بينما كان يحل وثاق جواده ، وحملوه في قسوة الى  
غرفة الضابط في مخفر الدرك .

وهناك كانت ثأرته قد هدأت قليلاً ، فحاول ان يشرح موقفه  
بعبارة من هنا ، أو عبارة من هناك ، وكان يحرك يديه حوله وهو  
يشكك ، ثم تناول الورقة النقدية ذات الخمسة روبلات من قبضته ، وطلب  
من ضابط الدرك ان يلقي عليها نظره ويميزها . ولكن الضابط كان  
يفهم ريشته بين لحظة وأخرى في الخبرة ، انه كان يكتب تقريراً  
عن توماس هو كوف الذي اعتدى وأهان بالقول والاشارة شخص  
كاتب السكة الحديدية اثناء قياده بأعمال الوظيفة ، وازاف الضابط

عنى تلك ان توماس هو كوف كان في حالة سكر شديد ، وانه كان يأكل « الفستق » في غرفة الانتظار في « المحطة العمومية » وكان يرمي القشر على الارض .

ووضع توماس صليماً في نهاية التقرير ، اذ لم يكن يعرف كيف يتوقع امضاء ، وخرج من المكان وهو يتهد ويهز برأسه ، وحمل وثائق جواده ، ثم امتطى العربة الخشبية الصغيرة وأخرج الورقة المالية من قبضته وحدق بنظاره اليها لبضع دقائق ، ثم لوح بيده في الاحتقار وهو يقول :

- انهم شياطين كاذبون ، ولا يزال الفلاح بحاجة الى السعي وراء الخبز ..

وألمب ظهر جواده بسوطه .. وعاد الى قريته .

فت

تيسيل كرامه

# فهرس القصص

رقم الصفحة	الكاتب	القصة
٥	لكسيم جوركي	١ حب اقوى من الموت
١٦	" "	٢ بطولة طفل
٢٤	" "	٣ بشر لا يودون الحياة
٣٥	" "	٤ ألم دفين
٤٢	" "	٥ وراء الخبز
٥٤	لاكسنيدر بوشكين	٦ هذا هو الحب
٦٢	" "	٧ المال
٧١	" "	٨ رمال الحياة وزبدها
٧٩	لتولستوى	٩ في المنفى
٩٠	لايليا الفا وايغيني بروف	١٠ المستكشف العظيم
١٠١	لتشيخوف	١١ الحب والخبز
١١١	لميشيل زوشنكو	١٢ الكاذبون

صدر أخيراً عن دار الأهرام بحلب

## درب المهوى

أحدث قصة عاطفية كتبها الأديب العاطفي المعروف

دروسانا نبيل كرامة

- درب المهوى : أجمل قصة من قصص الأهرام الجامع الذي تعترضه تقاليد المجتمع
- » قصة السعادة التي لا يكاد يجدها الإنسان حتى يحطمها النار
- » قصة الامومة الصادقة ، والحنان المستعر
- » قصة كل فتاة أو كل فتى سار على درب المهوى غير هيبات
- بمسالكها الشائكة ، واطبق على النار بأصابع غير خمر تجفة ،
- وحدق بالنور بعيون غير مرتمشة
- » القصة التي تفخر بنشرها وتوزعها دار الأهرام لأنحاء العالم العربي
- اطلبوها من عموم المكتاتب العربية ومن مكتبة الأهرام حلب -
- تجاه سينما دنيا - هاتف : ١٣٣٥٦

الثمن \* ١٥٠ غ . س

منشورات

## دار الأهرام

للطباعة والنشر والتوزيع والدعاية

لصاحبها

مورج صباغ و ميشيل ماروني

حلب - شارع القوتوني - تجاه سينما دنيا - هاتف ١٣٣٥٦

صدرت اخيراً عن دار الاهرام بحلب  
المتحف الانسانية الاجتماعية الرائعة

## غرام لقيطة

بقلم الأديب اللبناني العاطفي المعروف

### الروايات بيل كرامه

غرام لقيطة : ختام قصة درب الهوى ، الدرب التي خطت مسالكها  
السماء وسار عليها سائر البشر .

» » قصة غرام عفيف سام ارفع من حدود السماء

» » قصة ام حائرة تبحث عن ثمرة احشائها بعد ان تخلت عنها  
في لحظات مجونها واغرائها .

» » قصة اب قانوني يدوس الشرع الذي بين يديه .

» » قصة سر لا يعرف مولده غير قلب راهبة عذراء يغفل  
انعتاقه وكشف ستره « سر الاعتراف المقدس »

» » قصة حقيقية جرت حوادثها على سفح جبل صنين ، وبين  
جمال الطبيعة الاخاذ .

» » قصة ليست كسكل قصة ، لا يقدر وصفها الا من يقرأها ،  
ستتعبون لأسلوبها اللبق ، وللمعالجة فصولها الرائعة ،

فتحتفظون بها وتصحون اصدقاءكم باقتنائها .

اطلبوها من مكتبة الاهرام بحلب تجاه سينما دنيا هاتف ١٣٣٥٦

لصاحبها السيد جورج صباغ ومن عموم المكاتب العربية

الثنى ♦ ♦ ١٠ غ . س